ثلاثياتُ سورة يوسِف

أ.د. حازم سليمان مرزه الحلّيّ

Surah Yusuf trilogy

Prof.Dr. Hazem Suleiman Marza Al-Hilli

Email: Alhili37@yahoo.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله الذِي أَنْزَلَ كِتَابَهُ الكَرِيْمَ ﴿قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[1]، وَجَعَلَهُ نُوْرًا وَبُرْهَانًا مُنِيْرًا وَأَوْدَعَ تَعَالِى فِيْهِ أَسْرَارًا وَجَعَلَهُ مُعْجِزًا وَتَحَدَّى البَشَرَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ .

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُوْلِه أَبِي القَاسِمِ مُحَمَّدٍ وَ ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾[2].

وَبَعْدُ فَقَدْ احْتَوَتْ سُوْرَةُ يُوْسُفَ الشَّرِيْفَةُ على ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[3] وَأَفْضَلَ العِبَرَ وَالحِكَمِ فَضْلًا عَنِ البَلَاغَةِ وَذَرْوَةِ الإِبْدَاعِ فِي فَنِّ القَوْلِ، فِيْهَا ثُلَاثِيَّاتٌ :

فَاسْتُفْتِحَتْ، بَعْدَ البَسْمَلَةِ بِثَلَاثَةِ أَحرُفٍ مِنَ الحُرُوْفِ المُقَطَّعَةِ.

وَالحُرُوْفُ المُقَطَّعَةُ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ تُؤَدِي دَوْرَ أَدَوَاتِ التَّنْبِيْهِ ، وَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ القرْآنَ مِنْ نُوْعِ أَبْجَدِيَّتِكُم التِي بَيْنَ أَيْدِيْكُم ، ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[4]، وَفِيْهَا عُلُوْمٌ يَعْرِفُهَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ الذِي خُوْطِبَ بِهَا ، وَالذِيْنَ أَوْرَثَهُم اللهُ الكِتَابَ مِنْ عِتْرَتِهِ عليهم السلام[5].

وَفِي هَذِهِ الحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ أَسْرَارٌ عَجِيْبَةٌ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَيْهَا وَقْفَةَ تَأَمُّلٍ ، وَكَتَبْتُ عَنْهَا بَحْثًا وَنَشَرْتُهُ[6] وَقَدِ افْتُتِحَتْ ثَلَاثُ سُوَرٍ مِنَ القُرآنِ الكَرِيْمِ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ : هِيَ: سُوْرَةُ ص، وَسُوْرَةُ ق، وَسُوْرَةُ القَلَمِ، وَجاءَتْ مَبْدُوْءَةً بِالحُرُوْفِ: ص، ق، ن .

واستُهِلَّتْ تِسْعُ سُورٍ بِحَرْفَيْنِ ستٌّ مِنها تُسمِّيْهَا العَامَةُ (الحَوَامِيْم)، وَالصَّوَابُ ذَوَاتُ (حم) ؛ لأَنَّ كُلاً مِنْهَا تَبْدَأُ بـ : (حم) وَهِيَ سُوَرُ غَافِر، وَفُصِّلَتْ، والزُّخْرُف، وَالدُّخَانُ، وَالجَاثِيَةُ، وَالأَحْقَافُ، وَالسُّوَرَ الثَّلَاثُ الأُخْرَى هِيَ: طه، وطس، ويس، ابْتُدِأَتْ بِالحُرُوْفِ:

(١) سورة الزمر، الآية : ٢٨ .
(٢) سورة النمل ، الآية : ٥٩.
(٣) سورة يوسف ، الآية : ٣.
(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٣.
(٥) مفردات الراغب الإصفهاني مع ملاحظات العاملي : ٧٨٢.
(٦) وللاستزادة ينظر في : قبس من أسرار القرآن الكريم، لكاتب هذه السطور، في مجلة المصباح، التي تصدر عن العَتَبَةِ الحسينية المقدسة في كربلاء، العدد ١٣، لسنة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. : ٦٩-١١٤.

طه، وطس، ويس، كَمَا تَقُوْلُ ذَوَاتِ (الم) لِلسُّوَرِ التِي تَبْدَأُ بـ (الم) وَذَوَاتِ (طس) لِلسُّوَرِ التِي تَبْدَأُ بـ : (طس)[1] .

وَاسْتُهِلَّتْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سُوْرَةً بِثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ، سِتٌّ مِنْهَا بُدِئَتْ بـ (الم) وَهْيَ سورة البَقَرَةُ، وَآلُ عِمْرَانَ، وَالعَنْكَبُوْتُ، وَالرُّوْمُ، وَلُقْمَانُ، وَالسَّجْدَةُ ، وَافْتتحتْ خمسُ سورٍ بالحروفِ (الر) وهي يونُس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحِجْر، واستُهِلَّتْ سورتانِ من هذه السور بلفظ (طسم) وهما الشعراء والقَصَص.

وافتُتِحَتْ سورتانِ بأربعةِ أَحرفٍ هما: الأعرافُ، استُهِلَّتْ بـ (المص) ، والرعدُ افتتحتْ بـ (المر).

وَافْتُتِحَتْ سُوْرَتَانِ بِخَمْسَةِ أَحْرُفٍ هُمَا مَرْيَمُ ، وَأَوَّلُهَا (كهيعص) وَالشُّوْرَى وَأَوَّلُهَا (حم عسق).

معاني الحروف المقطعة :

ذَهَبَ العُلَمَاءُ فِي مَعَانِي الحُرُوْفِ المُقَطَّعَةِ إِلَى عَدَةِ أَقْوَالٍ: فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ (ت٦٨هـ) قَالَ: فِي الحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ ثَلاثَةُ أَقْوَالٍ:

الأَوَّلُ: "(الر)،(حم)،(ن)" اسمُ الرَّحْمَنِ مُقَطَّعٌ فِي اللفْظِ مَوْصُوْلٌ فِي المَعْنَى ، لَوْ أَحْسَنَ النَّاسُ تَأْلِيْفَهَا لَعَرَفُوا اسْمَ اللهِ الأَعْظَمَ[2] الذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ.

الثَّانِي: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾[3]، إِنَّ هَذِهِ الحُرُوْفُ أَقْسَامٌ، أَيْ قَسَمًا بِهَذِهِ الحُرُوفِ إِنَّ ذَلِكَ الْكِتَابُ مِنْ عِنْدِ اللهِ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾[4] ، أَيْ قَسَماً بِهَذِهِ الحُرُوْفِ ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ وَهْيَ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَاشَكَّ وَلَا رَيْبَ فِيْهَا .

(١) لسان العرب ، ١/ ٢٢.
(٢) مجمع البيان ، ١/ ٤٢.
(٣) سورة البقرة: ،من الآية ١ الى ٢.
(٤) سورة يوسف ، الآية : ١.

وَالثَّالِثُ :قَالَ ﴿الم﴾ أنا الله أعلم .

وِافْتُتِحَتْ سُوْرَة يُوْسُفَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

وَرَوَوا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ ﴿الم﴾ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، وَهُوَ اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ.

وَكَذَلِك ذَكَرُوا كُلَّ الحُرُوْفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي فَوَاتِحِ السُّوَرِ (ص، ق، ن، حم، طه، وطس، يس، الم، الر، طسم، المص، المر ، كهيعص ، حم عسق.)

قَالَ عِيْسَى بْنُ عُمَرَ الثَّقَفِي بِالوَلَاءِ النَّحْوِيُّ (ت١٤٩هـ) شَيْخُ الخَلِيْلِ (ت١٧٥هـ) ، وَسِيْبَوَيْهِ (ت١٨٠هـ) وَأَبِي عَمْرِو بْنِ العَلَاءِ (ت١٥٤هـ): أَعْجَبُ أَنَّهُمْ يَنْطِقُوْنَ بِأَسْمَائِهِ، وَيَعِيْشُوْنَ فِي رِزْقِهِ، كَيْفَ يَكْفُرُوْنَ بِهِ؟! فَالأَلِفُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ اللهُ ، وَاللامُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ لَطِيْف، وَالمِيْمُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ مَجِيْد، وَالأَلِفُ آلاءُ اللهِ، وِاللامُ لُطْفُ اللهِ، وَالمِيْمُ مَجْدُ اللهِ، وَرَوَى سَعِيْدُ بنُ جُبَيْرٍ (ت٩٥هـ) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: ﴿كهيعص﴾[1] هُوَ كَافٍ هَادٍ يَمِيْنٌ عَزِيْزٌ صَادِقٌ، جَعَلَ اسْمَ اليَمِيْنِ مُشْتَقًّا مِنَ اليُمْنِ، وَزَعَمَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُسْتَنِيْرِ(ت٢٠٦هـ) أَبُو عَلِيٍّ قُطْرُبُ تِلْمِيْذُ سِيْبَوَيْهِ أَنَّ : ﴿الر﴾ و﴿الم﴾ و ﴿كهيعص﴾ و﴿ص﴾و﴿ق﴾و﴿يس﴾ و﴿ن﴾ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا القُرآنَ مُؤَلَّفٌ مِنْ هَذِهِ الحُرُوْفِ الْمُقَطَّعَةِ التِي هِيَ حُرُوفُ : ا ، ب، ت، ث، فَجَاءَ بَعْضُهَا مُقَطَّعًا، وَجَاءَ تَمَامُهَا مُؤَلَّفًا لِيُدِلَّ القَوْمَ الذِيْنِ نِزَلَ عَلَيْهِم أَنَّهُ بِحُرُوْفِهِم التِي يَعْقِلُوْنَهَا .

وَلِقُطْرُب (٢٠٦هـ) وَجْهٌ آخَرُ فِي : ﴿الم﴾ زَعَمَ أَنَّهُ يَجُوْزُ أَنْ يَكُوْنَ لَمَّا لَغَا القَوْمُ فِي القُرآنِ فَلَمْ يَتَفَهَّمُوهُ حِيْنَ قَالُوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾[2] أُنْزِلَ عَلَيْهِم ذِكْرُ هَذِهِ الحُرُوْفِ التِي لَمْ يَعْتَادُوا الخِطَابَ بِتَقْطِيْعِهَا ، فَسَكَتُوا لَمَّا سَمِعُوا الحُرُوْفَ طَمَعًا فِي الظَّفَرِ بِمَا يُحِبُّوْنَ لِيَفْهَمُوا بَعَدَ الحُرُوْفِ القُرآنَ وَمَا فِيْهِ، لِتَكُوْنَ الحُجَّةُ عَلَيْهِم أَثْبَتَ إِذْ جَحَدُوا بَعْدَ تَفَهُّمٍ وَتَثَبُّتٍ[3].

(١) سورة مريم ، الآية : ١.
(٢) سورة فصلت ، الآية : ٢٦.
(٣) مجمع البيان ، ١/ ٤٣.

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ (ت٣١١هـ) : الْمُخْتَارُ مِنْ هَذِهِ الأَقْوَالِ مَا اخْتَارَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ[١]: وَهُوَ أَنَّ مَعْنَاهَا الدَّلالَةُ عَلَى أَسْمَاءِ اللهِ، فَأَنَّ:

﴿الم﴾ مَعْنَاهُ : أَنَا اللهُ أَعْلَمُ، وَ﴿الر﴾ مَعْنَاهُ : أَنَا اللهُ أَعْلَمُ وَأَرَى، و﴿الص﴾ مَعْنَاهُ أَنَا اللهُ أَعْلَمُ وَأُفَصِّلُ .

وَقَالُوا : للهِ فِي كُلِّ كِتَابٍ سِرٌّ ، وَسِرُّهُ فِي القُرآنِ حُرُوْفُ الهِجَاءِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ، وَذَهَبَ بَعْضُهُم إِلَى أَنَّهَا مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ التِي اسْتَأْثَرَ اللهُ تَعَالَى بِعِلْمِهَا، وَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهَا إِلَّا هُوَ ، وَهَذَا هُوَ المَرْوِي عَنْ أَئِمَّةِ الهُدَى عليهم السلام .

صفات الحروف[٢]

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ أَحْمَدِ بْنِ مُحَمَّدٍ النِّيْسَابُوْرِيّ الثَّعْلَبِي (ت٤٢٧هـ) فِي تَفْسِيْرِهِ الكَشْفِ والبَيَانِ ، بِسَنَدِهِ عَنِ الإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ مُوْسَى الرِّضَا عليه السلام ، قَالَ : سُئِلَ الإِمَامُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ عليه السلام عَنْ ﴿الم﴾ فَقَالَ عليه السلام: "فِي الأَلِفِ سِتُّ صِفَاتٍ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى: "الابْتِدَاءُ": فَإِنَّ اللهَ ابْتَدَأَ جَمِيْعَ الخَلْقِ، وَالأَلِفُ ابْتِدَاءُ الحُرُوْفِ و"الاسْتِوَاءُ": فَهُوَ عَادِلٌ غَيْرُ جَائِرٍ وَالأَلِفُ مُسْتَوٍ فِي ذَاتِهِ، و"الانْفِرَادُ": فَاللهُ تَعَالَى فَرْدٌ وَالأَلِفُ فَرْدٌ، وَ"اتِّصَالُ الخَلْقِ بِاللهِ": فَاللهُ لَا يَتَّصِلُ بِالخَلْقِ وَكُلُّهُم بحاجَةٍ إِلَيْهِ تَعَالَى ، والله غَنِيٌّ عَنْهُم جَمِيْعًا ، وَكَذَلِكَ الأَلِفُ لَا يَتَّصِلُ بِالحُرُوْفِ، وَالحُرُوْفُ مُتَّصِلَةٌ بِهِ، وَهُوَ مُنْقَطِعٌ مِنْ غَيْرِهِ، وَاللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بَائِنٌ بِجَمِيْعِ صِفَاتِهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَمَعْنَاهُ مِنَ الإِلْفَةِ ، فَكَمَا أَنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ سَبَبُ إِلْفَةِ الخَلْقِ، فَكَذَلِكَ الأَلِفُ عَلَيْهِ تَأَلَّفَتِ الحُرُوْفُ، وَهُوَ سَبَبُ إِلْفَتِهَا "[٣] ، واللامُ وَالرَّاءُ مِنَ الحُرُوْفِ الذَّلَقِيَّةِ، وَهِيَ الرَّاءُ وَاللامُ وَالنُّوْنُ وَأَسْمَاهَا الخَلِيْلُ الذَّلَقِيَّةَ ؛لِأَنَّ مَبْدَأَهَا مِنْ ذَلَقَةِ اللسَانِ وَجَعَلَهَا فِي حَيِّزٍ وَاحِدٍ[٤] ، وَلَمْ يَجْعَلْهَا سِيْبَوَيْهِ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ، بَلْ خَصَّ كُلَّ حَرْفٍ مِنْهَا بِمَخْرَجٍ فَاللامُ مِنْ أَوَّلِ حَافَةِ اللسَانِ إِلَى مُنْتَهَى طَرَفِ اللسَانِ مَا فَوْقَ الضَّاحِكِ وَالنَّابِ

(١) لسان العرب ، ١/ ٢٢.
(٢) ينظر في : أصول التلاوة :٣ ، ٣٧، والخليل رائد علم الصوت ، ٢١٢.
(٣) مجمع البيان ، ١/ ٤٢.
(٤) العين ، ١/ ٥٨، والخليل رائد علم الصوت،٢٠٦.

وَالرُّبَاعِيَّةِ وَالثُّنِيَّةِ[1]، وَمِنْ طَرَفِ اللسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فُوَيْقِ الثَّنَايَا مِنْ دَاخِلِ ظَهْرِ اللسَانِ مَخْرَجُ الرَّاءِ[2]، وَجَاءَ أَبُو الفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّي (ت٣٩٢هـ) فَتَابَعَ سِيْبَوَيْهِ [3]، وَلِلامِ أَحْكَامٌ وَاسْتِعْمَالَاتٌ عَدِيْدَةٌ وَيَأْتِي فِي مَعَانِيَ شَتَّى تَكَفَّلَتْ التَّوَسُّعَ فِيْهَا كُتُبُ النَّحْوِ[4] ، اللامُ وَالرَّاءُ وَمَعَهَا النُّوْنُ تُعْرَفُ بِالحُرُوْفِ الذُّلْقِ ، وَالحُرُوْفُ الشَّفَهِيَّةُ وَهِيَ الفَاءُ وُالبَاءُ وَالمِيْمُ التِي تَخْرُجُ مِنَ الشَّفَتَيْنِ. قَالَ عَنْهَا الخَلِيْلُ : (اعْلَمْ أَنَّ الحُرُوْفَ الذَّلَقِيَّةَ وَالشَّفَهِيَّةَ سِتَّةٌ ، وَهِيَ: (ر، ل، ن، ف، ب، م) ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ هَذِهِ الحُرُوْفُ ذُلُقًا ، لِأَنَّ الذَّلَاقَةَ فِي المَنْطِقِ إِنَّمَا هِيَ بِطَرَفِ أَسَلَةِ اللسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ، وَهُمَا مَدْرَجَتَاهَذِهِ الأَحْرُفِ السِّتَةِ ، مِنْهَا ثَلَاثَةٌ ذَلَقِيَّةٌ (ر، ل، ن) تَخْرُجُ مِنْ ذَلَقِ اللسَانِ مِنْ طَرَفِ غَارِ الفَمِ ، وَثَلَاثَةٌ شَفَهِيَّةٌ : (ف ، ب ، م) مَخْرَجُهَا مِنْ بَيْنِ الشَّفَتَيْنِ خَاصَّةً لَا تَعْمَلُ الشِّفَتَانِ فِي شَيْءٍ مِنَ الحُرُوْفِ الصِّحَاحِ إِلَّا فِي هَذِهِ الأَحْرُفِ الثَّلَاثَةِ فَقَطْ ، وَلَا يَنْطِقُ اللسَانُ إِلَّا بِالرَّاءِ وَاللامِ، وَالنُّوْنِ)[5] .

وَمَعَ أَنَّ الحُرُوْفَ الذَّلَقِيَّةَ هِيَ التِي تَخْرُجُ مِنْ طَرَفِ اللسَانِ، وَهِيَ الثَّلَاثَةُ الأُوْلَى مِنْهَا، إِلَّا أَنَّ الخَلِيْلَ كَانَ يَرَى الذَّلَاقَةَ فِي النُّطْقِ إِنَّمَا هِيَ لِطَرَفِ أَسَلَةِ اللسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ ، وَهُمَا مَدْرَجَتَا هَذِهِ الأَحْرُفِ ، لِذَلِكَ كَانَ يَرَى أَنَّ الأَحْرُفَ السِّتَةَ كُلَّهَا ذَلَقِيَّةٌ، وَبِهَذَا أَخَذَ أَبُو الفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّي (ت٣٩٢هـ) فَقَالَ: (وَمِنْهَا حُرُوْفُ الذَّلَاقَةِ ، وَهِيَ سِتَّةٌ، : الرَّاءُ ، وَاللامُ ، وَالنُّوْنُ وَالفَاءُ وَالبَاءُ وَالمِيْمِ لِأَنَّهُ يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا بِذَلَقِ اللسَانِ ، وَهُوَ صَدْرُهُ وَطَرَفُهُ)[6].

وَلِهَذَا رَأَى الخَلِيْلُ أَنَّ الكَلِمَةَ الرُّبَاعِيَّةَ أَوِ الخُمَاسِيَّةَ المُجَرَّدَةَ الخَالِيَةَ مِنْ أَحَدِ الحُرُوْفِ الذَّلَقِيَّةِ مُحْدَثَةٌ مُبْتَدَعَةٌ، لَيْسَتْ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ ؛ لِأَنَّكَ لَسْتَ تَجِدُ وَاجِدًا مَنْ يَسْمَعُ مِنْ كَلَامِ

(١) كتاب سيبويه طبعة بولاق ، ٢/ ٤٠٥، وتحقيق هارون ، ٤/ ٤٣٣، والخليل رائد علم الصوت ، ٢٠٦، و أصول التلاوة، ٣٤، ٣٦ .

(٢) كتاب سيبويه طبعة بولاق ، ٢/ ٤٠٥، وتحقيق هارون ، ٤/ ٤٣٣ والخليل رائد علم الصوت ، ٢٠٦، و أصول التلاوة ، ٣٤، و ٣٦، وكتاب الحروف لأحمد بن محمد الرازي (ت٦٣١هـ) من ثلاثة كتب في الحروف ، ٣٤..

(٣) سر صناعة الإعراب ، ١/ ٥٢.

(٤) ينظر في كتاب اللامات للزجاجي، ومغني اللبيب، واللامات للدكتور عبد الهادي الفضلي، وغيرها .

(٥) العين ، ١ / ٥١-٥٢، والخليل رائد علم الصوت ، ٢١٤.

(٦) سر صناعة الإعراب ، ١/ ٧.

العَرَبِ كَلِمَةً وَاحِدَةً رُبَاعِيَّةً ؛ أَوْ خُمَاسِيَّةً إِلَّا وَفِيْهَا مِنْ حُرُوْفِ الذَّلَاقَةِ وَالشَّفَهِيَّةِ وَاحِدٌ أَوْ اثْنَانِ أَوْ أَكْثَرُ ، إِلَّا كَلِمَاتٍ نَحْو من عشرٍ شَوَاذٍ وَمِنْهَا العَسْجَدُ[١] .

وَيَرَى المُحْدَثُوْنَ أَنَّ هَذِهِ الحُرُوْفَ، مَعَ قُرْبِ مَخَارِجِهَا مِنْ بَعْضِهَا

تَشْتَرِكُ فِي نِسْبَةِ وُضُوْحِهَا الصَّوْتِي ، وَإِنَّهَا مِنْ أَوْضَحِ الصَّوَامِتِ

وَلِهَذَا أَشْبَهَتِ الصَّوَائِتِ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ[٢] .

وَإِنْ تَعْجَبْ فَاعْجَبْ ؛ لِأَنَّ التَّجْرِبَةَ العِلْمِيَّةَ البدائية التِي اتَّبَعَهَا الخَلِيْلُ العَبْقَرِيُّ قَادَتْهُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَخَارِجِ الحُرُوْفِ ، وَصِفَاتِهَا، وَائْتِلَافِهَا.

فَقَدْ عَرَفَ أَعْضَاءَ جِهَازِ النُّطْقِ، وَحَصَرَهَا بَيْنَ الحَلْقِ وَالشَّفَتَيْنِ، وَحَدَّدَ عَلَيْهَا مَوَاضِعَ الحُرُوْفِ بَعْدَ أَنْ حَصَرَ عَدَدَهَا بِتِسْعَةٍ وَعِشْرِيْنَ حَرْفًا، وَمَيَّزَ بَيْنَ الصَّوَامِتِ وَأَسْمَاهَا : "صِحَاحًا" ، وَالصَّوَائِتِ مِنْهَا ، وَأَسْمَاهَا : "جُوفًا"، فَقَالَ: (فِي العَرَبِيَّةِ تِسْعَةٌ وَعِشْرُوْنَ حَرْفًا مِنْهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُوْنَ حَرْفًا " صَحَاحا " ، لَهَا أَحْيَازٌ[٣]، وَمَدَارِجُ، وَأَرْبَعَةُ أَحْرُفٍ" جُوْفٌ "، وَهِيَ: الوَاوُ، و اليَاءُ، و الأَلِفُ اللَيِّنَةُ وَالهَمْزَةُ ، وَسُمِّيَتْ جُوْفًا لِأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنَ الجَوْفِ فَلَا تَقَعُ فِي مَدْرَجَةٍ مِنْ مَدَارِجِ اللهاة إِنَّمَا هِيَ هَاوِيَةٌ فِي الهَوَاءِ فَلَمْ يَكُنْ لَهَا حَيِّزٌ تُنْسَبُ إِلَيْهِ إِلَّا الجَوْفُ)[٤]، لَقَدْ اعْتَمَدَ الخَلِيْلُ طُرُقًا بِدَائِيَّةً قَوَامُهَا التَّذَوُّقُ وَالسَّمَاعُ فَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى نَتَائِجَ عِلْمِيَّةٍ عَلَى غَايَةٍ مِنَ الأَهَمِّيَةِ، وَكَانَ مُوَفَّقًا غَايَةَ التَّوْفِيْقِ، فِيْمَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ، فَقَدْ حَدَّدَ مَخَارِجَ الحُرُوْفِ، فِي وَضْعِ سُكُوْنِ الحَرْفِ عِنْدَمَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ هَمْزَةً مَفْتُوْحَةً، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَذُوْقَ الحَرْفَ يَفْتَحُ فَاهَ بِالأَلِفِ، ثُمَّ يُظْهِرُ الحَرْفَ ، نَحْو: أَب ، أَت، أَح ، أَع ، أَغ[٥] ، ثُمَّ جَاءَ سِيْبَوَيْهِ، فَاصْطَنَعَ الهَمْزَةَ المَكْسُوْرَةَ ، وَتَابَعَهُ ابْنُ جِنِّي الذِي قَالَ، وَهُوَ يَأْخُذُ بِمَنْهَجِ سِيْبَوَيْهِ

(١) العين ، ١/ ٥٢ ٥٣، والخليل رائد علم الصوت ، ٢١٤.
(٢) ينظر في: مجمع البيان ، ١/ ٤٢، و لسان العرب، ١/ ٢٠،٢٩٧ والأصوات اللغوية ، ٦٤ ، والخليل رائد علم الصوت ، ٢١٤-٢١٥، وأصول التلاوة ، ٣٤ و ٣٦.
(٣) في العين ، ١/ ٥٧ : "أحيانا"، وهو خطأ مطبعي .
(٤) العين ، ١/ ٥٧-٥٨، والخليل رائد علم الصوت ، ٢٠٠، و٢١٠، وأصول التلاوة ، ٣٤ و ٣٦.
(٥) العين ، ١/ ٤٧، والخليل رائد علم الصوت ، ٢١٠ .

الذِي أَخَذَهُ أَصْلًا مِنْ شَيْخِهِ الخَلِيْلِ : (وَسَبِيْلُكَ إِذَا أَرَدْتَ اعْتِبَارَ صَدَى الحَرْفِ أَنْ تَأْتِيَ بِهِ سَاكِنًا لَا مُتَحَرِّكًا ؛ لِأَنَّ الحَرَكَةَ تُقْلِقُ الحَرْفَ عَنْ مَوْضِعِهِ، وَمُسْتَقَرِّهِ، وَتَجْذِبُهُ إِلَى جِهَةِ الحَرْفِ التِي هِيَ بَعْضُهُ ، ثُمَّ تُدْخِلُ عَلَيْهِ هَمْزَةَ الوَصْلِ مَكْسُوْرَةً مِنْ قِبَلِهِ لِأَنَّ السَّاكِنَ لَا يُمْكِنُ الابْتِدَاءُ بِهِ ، فَتَقُوْلُ: إِكْ ، إِقْ، إِجْ)[1] .

بِهَذِهِ الآيَةِ افْتُتِحَتْ سُوْرَةُ يُوْسُفَ ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ، وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى: ﴿الر﴾ التِي هِيَ مِنَ الحُرُوْفِ المُقَطَّعَةِ، وَالحُرُوْفُ المُقَطَّعَةُ وَكُلُّ الحُرُوْفِ فِيْهَا هَذَا العِلْمُ الغَزِيْرُ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذِي قَالَ فِي كِتَابِه ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[2] قَدْ أَنْعَمَ عَلَى عَبْدِهِ الخَلِيْلِ بْنِ أَحْمَدَ الفَرَاهِيْدِي (١٠٠-١٧٥هـ) بِمَعْرِفَةِ هَذَا العِلْمِ، وَأَخَذَهُ عَنْهُ تِلْمِيْذُهُ سِيْبَوَيْهِ، وهُوَ، وَكُلُّ الذِيْن جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِ، ومِنْهُم أَبُو الفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّي (ت٣٩٢هـ) عِيَالٌ عَلَى الخَلِيْلِ .

وَفِي سُوْرَةِ يُوسُفَ عليه السلام ثَلَاثُ رُؤَى :

الأُوْلَى رُؤْيَا يُوْسُفَ وَفِيْهَا بِشَارَةٌ لِيُوْسُفَ عليه السلام.

قَالَ تَعَالَى : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾[3] ، على تقدير : إِذْكُرْ إِذ قَالَ يُوْسُفُ ، وَالرُّؤْيَا مَصْدَرٌ كَالبُشْرَى وَالشُّوْرَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا صَارَ اسْمًا لِهَذَا التَّخَيُّلِ فِي المَنَامِ جَرَى مَجْرَى الأَسْمَاءِ، وَخَرَجَ عَنْ حُكْمِ الإِعْمَالِ فَلا يَعْمَلُ إِعْمَالَ المَصْدَرِ، وَمِمَّا يُقَوِّي خُرُوْجَهُ عَنْ أَحْكَامِ المَصَادِرِ تَكْسِيْرُهُ عُلَى رُؤَى، وَالمَصادِرُ فِي الأَكْثَرِ لَا تُكَسَّرُ.

(١) سر صناعة الإعراب ، ١/ ٧، والخليل رائد علم الصوت ، ٢١٠ .
(٢) سورة العلق ، من الآية ٣ الى ٥.
(٣) سورة يوسف ، من الآية ٤ الى ٦.

وَالرُّؤْيَا تَصَوُّرُ المَعْنَى فِي المَنَامِ عَلَى تَوَهُّمِ الإِبْصَارِ ، وَذَلِكَ أَنَّ العَقْلَ مَغْمُوْرٌبِالنَّوْمِ فَإِذَا تَصَوَّرَ الإِنْسَانُ المَعْنَى تَوَهَمَ أَنَّهُ يَرَاهُ[1]، الأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا إِخْوَتُهُ ، وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ أَبَوَاهُ[2] .

أَجَابَ يَعْقُوْبُ ابْنَهُ يُوْسُفَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ) حِيْنِ قِصَّ عَلَيْهِ رُؤْيَاهُ بِقَوْلِهِ : ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً﴾ أَيْ: لَا تُخْبِرْهُم بِهَا فَإِنَّكَ إِنْ أَخْبَرْتَهُم بِذَلِكَ حَسَدُوْكَ ، وَكَادُوْكَ وَاحْتَالُوا عَلَيْكَ لِلْإِيقَاعِ بِكَ ، كَادَهُ يَكِيْدُهُ كَيْدًا فَهُوَ كَائِدٌ، وَالكَيْدُ طَلَبُ الوَقِيْعَةِ وَالغَيْظِ بِأَذَى الطَّالِبِ لِغَيْرِهِ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِأَنَّ الشَّيْطَانَ مُعَادٍ لِلإِنْسَانِ ، وَيُلْقِي العَدَاوَةَ بَيْنَ النَّاسِ، اللامُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً ﴾ لَامُ التَّعْدِيَةِ ، كَمَا تَقُوْلُ شَكَرْتُكَ وَشَكَرْتُ لَكَ وَشَكَرَهُ وَشَكَرَ لَهُ كَذَلِكَ تَقُوْلُ كَادَهُ وَكَادَ لَهُ[3] .

وَالرُّؤْيَا الثَّانِيَةُ هِيَ التِي رَآهَا الفَتَيَانِ اللذَانِ دَخَلَا مَعَهُ السَّجْنَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[4] . وَتَقْدِيْرُ أَعْصِرُ خَمْرًا أَيْ: أَعْصِرُ العِنَبَ الذِي يَصِيْرُ خَمْرًا[5] .

وَحَوَّلَ يُوْسُفُ ﷺ السِّجْنَ الذِي رَمَوْهُ فِيْهِ إِلَى جَنَّةٍ، وَالذِيْنَ فِيْهِ إِلَى مُؤْمِنِيْنَ وَنَظَفَهُ وَزَرَعَهُ بَالوُرُوْدِ وَزَرَعَ قُلُوْبَ سَاكِنِيْهِ بِالحَنَانِ وَالمَحَبَةِ وِالإِيْمَانِ بِمَا أَوْلَاهُمُ (عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ) مِنَ رعايته ومساعدة ضعيفهم ومريضهم، وَتَفَقُّدِهِم وَيُعَلِّمُهُم وَفَتَحَ فِي السِّجْنِ مَدْرَسَةً يُوْسُفِيَّةً ، وَأَعْلَنَ نُبُوَّتَهُ مَابَيْنَهُمْ فَأَحَبَهُ كُلُّ مَنْ فِي السِّجْنِ وِصَارُوا يَرْجِعُوْنَ إِلَيْهِ فِيمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِم، وَالفَتَيَانِ مَمْلُوكَانِ لِمَلِكِ مِصْرَ هُمَا سَاقِيهِ وَصَاحِبُ طَعَامِه،

(١) التبيان ، ٦/ ٩٦، ومجمع البيان ، ٥ / ٢٧٨
(٢) التبيان ، ٦ / ٩٥.
(٣) التبيان : ٦ / ٩٧.
(٤) سورة يوسف ، الآية : ٣٦.
(٥) مجمع البيان ، ٥ / ٣١١.

فَنُمِيَ إِلَيْهِ أن صَاحِبَ طَعَامِهِ أَرَادَ أَنْ يَسِمَّهُ، وَصَاحِبُهُ سَاعَدَهُ، فسجنهما ، وفي السجن رأى كل واحد منهما رؤيا[1] ، فَسَأَلَهُ الفَتيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ رُؤْيَاهُمَا.

قَالَا: ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾. أَيْ أَخْبِرْنَا بِتَعْبِيرِهِ[2].

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[3]، وَبِقَوْلِهِ (عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ) : ﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ دَلِيْلٌ عَلَى إِعْلَانِ نُبُوَّتِهِ ، وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَّمَه تَأْوِيْلَ الأَحَادِيثِ وَغَيْرَهُ، في قوله : ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ أَنَّهُ ابْنُ الأَنْبِيَاءِ ﴿ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ فَهُوَ ابْنُ يَعْقُوْبَ بْنِ إِسْحَاقَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِمُ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) ابْنِ إِبْرَاهِيْمَ ﷺ ، ويعقوب ﷺ إِسْرَائِيْلُ اللهِ ، وَمَعْنَاهُ: عَبْدُ اللهِ الخَالِصُ، وفي حديث النبي عن يوسف ﷺ ، قَالَ : " الكَرِيْمُ ابْنُ الكَرِيْمِ ابْنِ الكَرِيْمِ ابْنِ الكَرِيْمِ ، يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوْبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إبراهيمَ"[4].

وَبِقَوْلِهِ : ﴿ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾، دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّ اتِّبَاعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ، وَهِيَ مِلَّةُ التَّوْحِيْدِ لُطْفٌ وَفَضْلٌ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَوْحِيْدُ اللهِ وَاجِبٌ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

(١) نفسه .
(٢) نفسه ، ٥ / ٣١٢.
(٣) سورة يوسف ، من الآية ٣٧ الى ٣٨.
(٤) مجمع البيان ، ٥ / ٢٧٩.

لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1] وَمِنْ لُطْفِ اللهِ وَفَضْلِهِ عَلَى عَبْدِهِ أَنْ هَدَاهُ إِلَى عَقِيْدَةِ التَّوْحِيْدِ ، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ، وَغَيْرِهِمَا [2] دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّ الحَقَّ لاَ يَكُونُ دَائِماً مَعَ الكَثْرَةِ، بَلْ رُبَّمَا ضَلَّتِ الكَثْرَةُ كَمَا فِي عَدَمِ شُكْرِهَا المُنْعِمَ عَلَيْهَا بِالهِدَايَةِ إِلى تَوْحِيْدِ اللهِ، وَشُكْرُ المُنْعِمِ وَاجِبٌ عَقْلِي، وَالعَقْلُ نَبِيٌّ مِنَ الدَّاخِلِ، وَاهْتَدَتِ القِلَّةُ بِشُكْرِهِ .

وَاسْتَمَرَّ يُوْسُفُ عليه السلام يَفِيْضُ عَلَيْهِمَا وَعَلَى السُّجَنَاءِ وَالعَامِلِيْنَ فِي السِّجْنِ كَافَّةً مِنْ عَطَاءِ مَدْرَسَتِهِ، يَدْعُوْهُمْ إِلَى تَوْحِيْدِ اللهِ تَعَالَى، مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ وَأَرْسَلَهُ بِهِ قَائِلاً:

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[3] ، والتَّعْبِيْرُ الذِي ذَكَرَهُ هُوَ لَيْسَ مُجَرَّدَ تَعْبِيْرٍ، أَوْ تَأْوِيْلٍ كَمَا يَفْعَلُ غَيْرُهُ بَلْ هُوَ إِخْبَارٌ بِمَصِيْرِهِمَا كَمَا أَخْبَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ فَقَالَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهِ وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) مُخْبِرًا عَنِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[4] أَيْ : إِنَّ هَذَا أَمْرٌ مَحْتُوْمٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، وَتَحَقَّقَ لِصَاحِبَيِ السِّجْنِ مَا أَخْبَرَهُمَا بِهِ يُوْسُفُ عليه السلام عَنْ رَبِّهِ ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[5] أَيْ: اذْكُرْنِي عِنْدَ سَيِّدِكَ بِأَنِّي مَحْبُوْسٌ ظُلْماً ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ أَيْ: فَأَنْسَى الشَّيْطَانُ يُوْسُفَ ذِكْرَ اللهِ فِي تِلْكَ الحَالِ حَتَّى اسْتَغَاثَ بِمَخْلُوْقٍ، فَالْتَمَسَ مِنَ الذِي ظَنَّهُ نَاجِيًا ، وَقَدْ أَخْبَرَهُ الوَحِيُ بِنَجَاتِهِ أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَ سَيِّدِهِ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَوَكَّلَ فِي ذَلِكَ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[6] أَيْ:

(١) سورة يوسف، الآية : ٤٠.
(٢) ينظر في : القلة والكثرة في القرآن الكريم، مجلة المصباح الصادرة عن العتبة الحسينية المقدسة ، في كربلاء ، العدد ٢٥، الصادر في ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م ، ٨٩-١١٢، بحث لكاتب هذه السطور ونُشِرَ سَهْوًا باسم غيره .
(٣) سورة يوسف ، الآية : ٣٩.
(٤) سورة يوس ، الآية : ٤١.
(٥) سورة يوسف ، الآية : ٤٢.
(٦) سورة يوسف ، الآية : ٤٢.

سَبعَ سِنِيْنِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ ﷺ . وَعَلَى قَوْلِ مَعْنَاه فَأَنْسَى الشَّيْطَانُ السَّاقِيَ ذِكْرَ يُوْسُفَ عِنْدَ المَلِكِ فَلَمْ يَذْكُرْهُ حَتَّى لَبِثَ ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾، وَعَلَى هَذَا يَكُوْنُ تَقْدِيْرُهُ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ يُوْسُفَ عِنْدَ المَلِكِ ، وَاخْتُلِفَ فِي بِضْعِ سِنِيْنَ فَقَالُوا هِيَ سَبْعُ سِنِيْنَ وَقَالُوا مِنْ ثَلَاثٍ إِلَى تِسْعٍ

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " عَجِبْتُ مِنْ أَخِي يُوْسُفَ كَيْفَ اسْتَغَاثَ بِالمَخْلُوْقِ دُوْنَ الخَالِقِ! " وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: " لَوْلَا كَلِمَتُهُ لَمَا لَبِثَ فِي السِّجْنِ طُوَالَ مَا لَبِثَ " يَعْنِي قَوْلَهُ : ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ .

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصَّادِقِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ جَبْرَئِيْلُ ﷺ فَقَالَ: يَا يُوْسُفُ ! مَنْ جَعَلَكَ أَحْسَنَ النَّاسِ؟

قَالَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهَ وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) : رَبِي.

قَالَ ﷺ : فَمَنْ حَبَّبَكَ إِلَى أَبِيْكَ دُوْنَ إِخْوَتِكَ؟

قَالَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهَ وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) : رَبِي.

قَالَ ﷺ : فَمَنْ سَاقَ إِلَيْكَ السَّيَّارَةَ؟

قَالَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهَ وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) : رَبِي.

قَالَ ﷺ : فَمَنْ أَنْقَذَكَ مِنَ الجُبِّ؟

قَالَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهَ وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) : رَبِي.

قَالَ ﷺ : فَمَنْ صَرَفَ عَنْكَ كَيْدَ النِّسْوَةِ ؟

قَالَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهَ وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) : رَبِي.

قَالَ ﷺ : فَإِنَّ رَبَّكَ يَقُوْلُ: مَا دَعَاكَ إِلَى أَنْ تُنْزِلَ حَاجَتَكَ فِي مَخْلُوْقٍ دُوْنِي ؟ الْبَثْ بِمَا قُلْتَ ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصَّادِقِ عليه السلام أَيْضًا فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ: فَبَكَى يُوسُفُ بُكَاءً شَدِيْدًا[1].

وَالرُّؤْيَا الثَّالِثَةُ هِيَ رُؤْيَا مَلِكُ مِصْرَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[2]، وَلَمْ يَكُنْ لَدَى السَّحَرَةِ وَالْمُعَبِّرِيْنَ جَوَابٌ وَتَعْبِيْرٌ لِرُؤْيَا الْمَلِكِ، بَلْ ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾[3]، عِنْدَ ذَلِكَ تَذَكَّرَ الذِي نَجَا مِنْهُمَا مَا قَالَهُ يُوسُفُ عليه السلام ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[4]. ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[5]، فَعَجِبُوا مِنْ سَاقِي الْمَلِكَ كَيْفَ يَأْتِي بِتَعْبِيْرِ رُؤْيَا الْمَلِكِ وَقَدْ عَجَزَ عَنْ تَعْبِيْرِهَا الْمُعَبِّرُوْنَ ، وَلَمّا أَكَّدَ لَهُمْ ثِقَتَهُ أَنَّهُ يَأْتِيْهُمْ بِالجَوَابِ الأَكِيْدِ، أَرْسَلُوْهُ ، فتوجَّهَ مُسْرِعًا إِلَى يُوْسُفَ عليه السلام فِي سِجْنِهِ، وَبَعْدَ السَّلَامِ عَلَيْهِ سَأَلَهُ:.

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[6]. وَكُلُّ مَا قَالَهُ يُوْسُفُ عليه السلام عَنِ الرُّؤْى لَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِهِ ، بَلْ كَانَ وَحْيًا مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَعَادَ الذِي نَجَا مِنْهُمَا فَرِحًا مُسْرِعًا، وَأَخْبَرَهُمْ ، وَفَرِحَ الْمَلِكُ وَجَمِيْعُ الحَاضِرِيْنَ بِالجَوَابِ.﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾[7] ، وَهَذا أَوَّلُ

(١) مجمع البيان ، ٥ / ٣١٣.
(٢) سورة يوسف ، الآية : ٤٣.
(٣) سورة يوسف ، الآية : ٤٤.
(٤) سورة يوسف ، الآية : ٤٢.
(٥) سورة يوسف ، الآية : ٤٥.
(٦) سورة يوسف ، من الآية ٤٦ الى ٤٩.
(٧) سورة يوسف ، الآية : ٥٠.

سَجِيْنٍ يُطْلَقُ سَرَاحُه مِنَ السِّجْنِ فَيَشْتَرِطُ شَرْطًا لِخُرُوْجِهِ.

أَرَادَ المَلِكُ مَعْرِفَةَ حَقِيْقَةَ هَذَا الأَمْرِ فَطَلَبَ إِحْضَارَ النِّسْوَةِ أَمَامَهُ[1] لِيُحَقِّقَ مَعَهُنَّ بِنَفْسِهِ .

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[2]، فَلَمَّا عَرَفَ المَلِكُ حَقِيْقَةَ، الأَمْرِ بَعْدَ اعْتِرَافِ النِّسْوَةِ أَدَانَهُنَّ وَحَكَّمَ بِبَرَاءَةِ يُوْسُفَ الصِّدِّيْقِ عليه السلام[3]، ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[4].

ثلاثة قمصان ليوسف :

فِي سُوْرَةِ يُوْسُفَ عليه السلام ثلاثة قُمْصَانٍ :

الأَوَّلُ قَمِيْصُ الكَذِبِ، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَـٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ۝١٠ ﴾[5].

وَلَمَّا ائْتَمَرُوا بينهم وبيتوا المكر بأبيهم وأخيهم ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ۝١٣ ﴾[6]، فَأَسَرُّوْهَا فِي أَنْفُسِهِم و﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ ﴾[7]، وَلَمَّا أَخَذُوْهُ مَعَهُم، وَفَعَلُوا بِأَخِيْهِم مَا سَوَّلَتْ لَهُم أَنْفُسُهُم، وَرَمَوْهُ فِي الجُبِّ تَظَاهَرُوا بِالحُزْنِ كَذِبًا

(١) النبوة للشيخ الصدوق ، ١٢١ .
(٢) سورة يوسف ، الآية : ٥١ .
(٣) النبوة للشيخ الصدوق ، ١٢١ـ ١٢٢، ومجمع البيان ، ٥ / ٣٢٠
(٤) سورة يوس ، الآية : ٥٤ .
(٥) سورة يوسف ، من الآية ٧ الى ١٠ .
(٦) سورة يوسف ، الآية : ١١ .
(٧) سورة يوسف ، الآية : ١٤ .

﴿ وَجَآءُو أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1]، فَصُعِقَ نَبِيُّ اللهِ يَعْقُوْبُ الشَّيْخُ الْمُتَعَلِّقُ بِابْنِهِ يُوْسُفُ (عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَآلَهُ وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) لِلخَبَرِ الذِي نَزَلَ عَلَيْهِ نُزُوْلَ الصَّاعِقَةِ وَتَفَحَّصَ الأَبُ قَمِيْصَ وَلَدِهِ وَحَبِيْبِ قَلْبِهِ فَوَجَدَهُ سَالِمًا إِلَّا مِنَ الدَّمِ الكَذِبِ، وَأَنَّ الذِّئْبَ الْمَزْعُوْمَ الْمُتَّهَمَ زُوْرًا وَبُهْتَانًا بِأَكْلِ يُوْسُفَ لَمْ يُمَزِّقْهُ، وَذَلِكَ دَلِيْلٌ عَلَى كَذِبِهِم وَأَنَّهُمْ لَمْ يُتْقِنُوا أَسْبَابَ الْمَكْرِ وَأَرْكَانَهُ، فَعِلِمَ أَنَّهُمْ قَدْ دَبَّرُوا أَمْرًا فَلَجَأَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَانْطَوَى عَلَى حُزْنِهِ صَابِرًا ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾، وَبَقِيَ نَبِيُّ اللهِ يَعْقُوْبُ يَبْكِي حُزْنًا عَلَى فِرَاقِ وَلَدِهِ يُوْسُفَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهُ وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) وَمِمَّا فَعَلَ أَوْلَادُهُ مَدَةً طَوِيْلَةً، ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[2]

وَالثَّانِي قَمِيْصُ البَرَاءَةِ. فَقَدْ قَيَّضَ اللهُ سَيَّارَةً أَخْرَجَتْ يُوْسُفَ ﷺ مِنَ الجُبِّ وَحَضَرَ إِخْوَتُهُ

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾[3] أَيْ: بَاعُوْهُ بِمَبْلَغٍ رَخِيْصٍ، وَيَسَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَقْلَهُ إِلَى مِصْر وَبِيْعَ فِي سُوْقِ مِصْرَ لِيُؤَدِيَ رِسَالَتَهُ هُنَاكَ بِهِدَايَةِ الْمُجْتَمَعِ المِصْرِيِّ إِلَى دِيْنِ التَّوْحِيْدِ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4]، وَ﴿ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن

(١) سورة يوسف، الآية ١٦ الى ١٨.
(٢) سورة يوسف، من الآية ٨٤ الى ٨٦.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٠.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٢١.

مِّصْرَ﴾ أَيْ: مِنْ أَهْلِ مِصْرَ هُوَ عَزِيْزُ مِصْرَ، وَأَهْدَاهُ إِلَى امْرَأَتِهِ زُلَيْخَا ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾، أَيْ : هَيِّئِي لَهُ مَوْضِعًا كَرِيمًا لِإِقَامَتِهِ عِنْدَنَا، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِمَا رَأَى عَلَى يُوْسُفَ مِنَ الجَمَالِ وَالعَقْلِ وَالأَدَبِ وَالعِلْمِ وَالعَفَافِ وَالهِدَايَةِ ؛ وَلِأَنَّ العَزِيْزَ كَانَ لَا وَلَدَ لَهُ، ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ ، أَيْ كَمَا أَنْعَمْنَا عَلَى يُوْسُفَ بِالسَّلَامَةِ وَالخُرُوجِ مِنَ الجُبِّ، مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ بِأَنْ عَطَفْنَا عَلَيْهِ قَلْبَ عَزِيْزِ مِصْرَ الذي اشْتَرَاهُ ، وَمَلِكِ مِصْرَ حَتَّى صَارَ مُتَمَكِّنًا مِنَ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾، أَيْ: لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ، فَهُوَ الفَاعِلُ لِمَا يَشَاءُ كَيْفَ يَشَاءُ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ، أَنَّ اللهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، أَوْ لَا يَعْلَمُوْنَ مَا يَصْنَعُ اللهُ بِيُوْسُفَ ﷺ وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ حَالُه[1].

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[2] أَيْ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ ﴾ يُوْسُفُ ﴿أَشُدَّهُ﴾ أَيْ ذِرْوَةَ شَبَابِهِ وَقُوَّتِهِ وَكَمَالِ عَقْلِهِ ، وَقِيْلَ : الأَشُدُّ مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً إِلَى ثَلَاثِيْنَ سَنَةً، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (٦٨هـ) وَقِيْلَ: إِنَّ أَقْصَى الاشُدِّ الأَرْبَعُوْنَ سَنَةً مِنَ العُمُرِ، وَقِيْلَ السُّتُّوْنَ، وَقِيْلَ : إِنَّ ابْتِدَاءَ الأَشُدِّ مِنْ عِشْرِيْنَ سَنَةً، وَقِيْلَ مِنْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِيْنَ سَنَةً ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْماً ﴾ أَيْ: أَعْطَيْنَاهُ القَوْلَ الفَصْلَ الذِي يَدْعُو إِلَى الحِكْمَةِ ﴿ وَعِلْماً ﴾ وَهُوَ تَبْيِينُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ، بِمَا يَحِلُّ فِي القَلْبِ، وَقِيْلَ الحُكْمُ النُّبُوَّةُ وَالعِلْمِ أَحْكَامُ الشَّرِيْعَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقِيْلَ : الحُكْمُ : الدُّعَاءُ إِلَى دِيْنِ اللهِ ، وَالعِلْمُ عِلْمُ الشَّرْعِ، وَقِيْلَ أَرَادَ الحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ وَالعِلْمَ بِوُجُوْهِ المَصَالِحِ، فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا إِذَا تَحَاكَمُوا إِلَى العَزِيْزِ أَحَالَهُمْ عَلَيْهِ، لِمَا رَأَى مِنْ عَقْلِهِ وِعِلْمِهِ وَحِلْمِهِ وَإِصَابَتِهِ فِي الرَّأْيِّ، وَقِيْلَ: الحُكْمُ هُوَ العِلْمُ وَالعَمَلُ بِه[3].

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[4] .

أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ زُلَيْخَا امْرَأَةِ العَزِيْزِ مَا هَمَّتْ بِهِ فَقَالَ تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ

(١) مجمع البيان ، ٥/ ٢٩٥ ٢٩٦.
(٢) سورة يوسف ، الآية : ٢٢.
(٣) مجمع البيان ، ٥ / ٢٩٦.
(٤) سورة يوسف ، الآية٢٣.

فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ أَيْ: وَطَالَبَتْ يُوْسُفَ ﷺ المَرْأَةُ التِي كان يُوْسُفُ فِي بَيْتِهَا وهي زليخا أَنْ يُوَاقِعَهَا، ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ عَلَى نَفْسِهَا وَعَلَيْهِ بَابًا بَعْدَ بَابٍ، قَالُوا: وَكَانَتْ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، وَقَالَ غَلَّقَتْ لِلمُبَالَغَةِ فِي إِحْكَامِ إِغْلَاقِ الأَبْوابِ وَتَعَدُّدِهَا ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ﴾، ﴿هَيْتَ﴾ بِفَتْحِ الهَاءِ وَالتَّاءِ فِي أَجْوَدِ لُغَاتِها: اسْمُ فِعْلِ أَمْرٍ بِمَعْنَى أَقْبِلْ، تَعَالَ مِثْلُ صَهْ وَمَهْ، قَالَ شَاعِرٌ عِرَاقِيٌّ يُخَاطِبُ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ الإِمَامَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ:

أَبْلِغْ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ أَخَا العِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَا
أَنَّ العِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هيْتَا[1]

أَقْبِلْ وَتَعَالَ، وَحَكَى مُحَمَّدُ بْنُ المُسْتَنِيْرِ قُطْرُب (٢٠٦هـ) أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الحِجَازِ أَنْشَدَهُ لِطَرَفَةَ:

لَيْسَ قَوْمِي بِالأَبْعَدِيْنَ إِذَا مَا قَالَ دَاعٍ مِنَ العَشِيْرَةِ هَيْتُ
هُمْ يُجِيْبُوْنَ: وَا هَلُمَّ سِرَاعًا كَالأَبَابِيْلِ لَا تُغَادِرُ بَيْتُ[2]

وَالمُرَاوَدَةَ المُطَالَبَةُ بِرِفْقٍ أَصْلُهُ مِنْ رَادَ يَرُوْد إِذَا طَلَبَ المَرْعَى، وَفِي المَثَلِ: الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ وَفِي الآيَةِ كِنَايَةٌ عَمَّا تُرِيْدُ النِّسَاءُ مِنَ الرِّجَالِ، فَاسْتَعْصَمَ، وَاسْتَعَاذَ بِاللهِ، وَسَأَلَهُ تَعَالَى أَنْ يَعْصِمَهُ مِنْ فِعْلِ مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ، وَ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ الهَاءُ فِي إِنَّهُ يَعُوْدُ عَلَى زَوْجِهَا عَزِيْزِ مِصْرَ عِنْدَ أَكْثَرِ المُفَسِّرِيْنَ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ رَبِّي ﴾ لِأَنَّهُ مَالِكُهُ الذِي اشْتَرَاهُ، وَلِمَا ثَبَتَ عَلَيْهِ مِنَ الرِّقِّ لَهُ فِي الظَّاهِرِ، وَقَالَ لَهَا لِأَنَّ زَوْجَكِ عَزِيْزَ مِصْرَ مَالِكِي وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتِي، وَأَكْرَمَنِي وَبَسَطَ يَدِي، وَرَفَعَ مَنْزِلَتِي فَلَا أَخُوْنُهُ، وقيل: إِنَّ الهَاءَ عَائِدَةٌ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، أَيْ: إِنَّ اللهَ رَبِّي رَفَعَ مِنْ مَحَلِّي وَجَعَلَنِي نَبِيًّا فَلَا أَعْصِيْهِ أَبَدًا ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ دَلَّ بِهَذَا عَلَى أَنَّهُ لَوْ فَعَلَ مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ لَكَانَ ظَالِمًا، وَفِي هَذِهِ الآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ

(١) جاء القوم عُنُقًا أَيْ طوائفَ وجماعاتٍ، مائلين إليك وإنهَّم منتظروك، معاني القرآن للفرَّاء، ٢ / ٤٠، والمحتسب، ١ / ٣٣٧، والخصائص، ١ / ٢٧٩، وأثر المحتسب في الدراسات النحوية، ٤٦٩، ومجمع البيان، ٥ / ٢٩٨.

(٢) ديوان طرفة، ١٤٧، والمحتسب، ١/ ٣٣٧، وأثر المحتسب في الدراسات النحوية، ٤٦٩، وفيها هيتَ وبيتا، ومجمع البيان، ٥ / ٢٩٨.

يُوْسُفَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهَ وَعَلَيْه أَفْضَلُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) لَمْ يَهِمْ بِالفَاحِشَةِ وَلَمْ يُرِدْهَا بِقَبِيْحٍ؛ لِأَنَّ مَنْ هَمَّ بِالقَبِيْحِ لَا يَقُوْلُ مِثْلَ ذَلِكَ[1]

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] ، ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ أَيْ : تَبَادَرَا البَابَ، بِمَعْنَى حَاوَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُما السَّبْقَ بِالوُصُوْلِ إِلَى البَابِ أَوَّلًا : أَمَّا يُوْسُفُ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهَ وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) فَكَانَ يُرِيْدُ الهَرَبَ مِنْهَا ، وَمِنِ ارْتِكَابِ الفَاحِشَةِ، وَأَمَّا هِيَ فَكَانَتْ تَطلُبُ يُوْسُفَ، لِتَقْضِي حَاجَتَهَا مِنْهُ ، وَتَقْصِدُ إِحْكَامَ إِغْلَاقِ البَابِ لِتَمْنَعَهُ مِنَ الخُرُوجِ، وَتُرَاوِدُهُ ثَانِيَةً عَنْ نَفْسِهِ،﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ ﴾أيْ أَسْرَعَتْ فِي عَدْوِهَا خَلْفَهُ فَأَدْرَكَتْهُ وَجَذَبَتْ قَمِيْصَهُ فَشَقَّتْهُ طُوْلًا مِنْ خَلْفِهِ ؛ لِأَنَّ يُوْسُفَ ﷺ كَانَ هَارِبًا مِنْهَا مُسْرِعًا ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ !! أَيْ: وَجَدَا زَوْجَهَا عِنْدَ البَابِ ، وَسَمَّاهُ سَيِّدَهَا لِأَنَّهُ مَالِكُ أَمْرِهَا ، ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يَعْنِي أَنَّ زُلَيْخَا سَبَقَتْ فِي الكَلَامِ لِتُلْقِيَ بِالذَّنْبِ عَلَى يُوْسُفَ ﷺ فَقَالَتْ : لَيْسَ جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ خِيَانَةً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ ، أَو يُضْرَبَ بِالسِّيَاطِ ضَرْبًا مُوْجِعًا شَدِيْدًا، وَلَو صَدَقَ حُبُّهَا لَمْ تَقُلْ ذَلِكَ وَلَافْتَدَتْهُ بِنَفْسِهَا وَلَكِنَّ حُبَّهَا كَانَ نَزْوَةً عَاطِفِيَّةً وَخِيَانَةً لِزَوْجِهَا الذِي اشْتَرَى يُوْسُفَ ﷺ وَقَدَّمَهُ هَدِيَّةً لَهَا ، فَشَغَفَهَا حُبًّا وَرَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلِأَنَّهَا تُرِيْدُ بَقَاءَهُ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ مَا قَالَتْ يُقْتَلُ !!

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾[3] ، ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ لَمَّا ذَكَرَتْ زُلَيْخَا ذَلِكَ لَمْ يَجِدْ يُوْسُفُ ﷺ بُدًّا مِنَ الدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ بِالصِّدْقِ لِرَدِّ دَعْوَاهَا الكَاذِبَةَ، وَلَو كَفَّتْ مِنَ الكَذِبِ عَلَيْهِ لَكَفَّ مِنَ الصِّدْقِ عَلَيْهَا، قَالَ هِيَ طَالَبَتْنِي بِالسُّوءِ الذِي نَسَبَتْهُ إِلَيَّ ، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ (٦٨هـ) وَسَعِيْدُ بْنُ جُبَيْرٍ (٩٥هـ) كَانَ الشَّاهِدُ

(١) مجمع البيان ، ٥ / ٢٩٨.
(٢) سورة يوسف ، الآية : ٢٥.
(٣) سورة يوسف ، الآية : ٢٦.

طِفْلاً صَغِيْرًا فِي المَهْدِ عُمُرُهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ زُلَيْخَا، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى إِنَّ الشَّاهِدَ بِتَبْرِئَةِ يُوسُفَ كَانَ رَجُلًا حَكِيمًا مِنْ أَهْلِهَا أَو ابْنُ عَمِّهَا، وَكَانَ مَعَ زَوْجِهَا عِنْدَ البَابِ، فَإِنْ صَحَّتِ الرِّوَايَةُ بِأَنَّهُ طِفْلٌ فَهِيَ مُعْجِزَةٌ تَكْفِي لِبَرَاءَتِهِ عليه السلام ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ ﴾ ، أَيْ شُقَّ ﴿ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾ المَرْأَةُ ﴿ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾ فِيمَا قَالَ يَعْنِي يُوسُفَ عليه السلام لِأَنَّ المَفْرُوضَ عَلَى زَعْمِهَا الكَاذِبِ هُوَ القَاصِدُ وَهِيَ الدَّافِعَةُ لَهُ ، ﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ﴾[1]. ﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ أَيْ شُقَّ مِنَ الخَلْفِ ﴿ فَكَذَبَتْ﴾ المرأةُ ﴿ وَهُوَ ﴾ أَيْ يُوسُفُ عليه السلام ﴿مِن الصَّادِقِينَ﴾ لِأَنَّهُ هُوَ الهَارِبُ مِنْهَا، وَهِيَ الطَّالِبَةُ لَهُ، وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيْعِي وَاسْتِدْلَالٌ صَحِيْحٌ، ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[2]﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ عَزِيْزُ مِصْرَ زَوْجُ زُلَيْخَا ﴿ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ ﴾ أَيْ قَمِيْصَ يُوْسُفُ عليه السلام شُقَّ مِنَ الخَلْفِ عَرَفَ خِيَانَةَ المَرْأَةِ ، وخاطبها وَ﴿ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ أَيْ إِنَّ هَذَا العَمَلَ مِنْ كَيْدِ النِّسَاءِ ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[3]، ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا﴾ أَيْ: يَا يُوْسُفُ ! أَمْسِك عَنْ هَذَا الحَدِيْثِ وَلَا تَذْكُرْهُ حَتَّى لَا يَفْشُو فِي البَلَدِ وَلَا تُعِدْهُ لِطَلَبِ البَرَاءَةِ فَقَدْ ثَبَتَتْ بَرَاءَتُكَ، وَقِيْلَ هَذَا الكَلَامُ وَمَا بَعْدَهُ لِلشَّاهِدِ، وَتَوَجَّهَ إِلَى زُلَيْخَا وَقَالَ لَهَا : ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ أَيْ: اعْتَذِرِي لِزَوْجِكِ، وسَلِيهِ أَنْ يَغْفِرَ لَكِ ، وَأَلَّا يُعَاقِبَكِ عَلَى مَا فَعَلْتِي[4] ؛ لِأَنَّكِ ارْتَكَبْتِ خَطَأَ الخِيَانَةِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنَ الاسْتِغْفَارُ وَطَلَبُ الرَّحْمَةِ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ رَبِّهَا، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ مَاتَزَالُ مُشْرِكَةً لَمْ تُؤْمِنْ بَعْدُ، وَكَانَ الذَّنْبُ مِنْهَا كَبِيْرًا ، هَذَا هُوَ القَمِيْصُ الثَّانِي فِي السُّوْرَةِ، وَهُوَ الذِي أَثْبَتَ بَرَاءَةَ يُوْسُفَ عليه السلام.

وَهُنَاكَ قَمِيْصٌ ثَالِثٌ : فَبَعْدَ أَنْ حَلَّتِ السِّنُونَ السَّبْعُ الشِّدَادُ عَلَى النَّاسِ ، وَحَلَّ عَامٌ يُغَاثُ فِيْهِ النَّاسُ قَصَدُوا مِصْرَ لِلْحُصُوْلِ عَلَى المِيْرَةِ مِنْهَا ، ﴿ وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ

(١) سورة يوسف ، الآية : ٢٧.
(٢) سورة يوسف ، الآية : ٢٨.
(٣) سورة يوسف ، الآية : ٢٩.
(٤) مجمع البيان ، ٥ / ٣٠١-٣٠٣

عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾[1] ؛ لِأَنَّهُم لَمْ يَدُرْ فِي خُلْدِهِم أَنَّ أَخَاهُم سَيَمْلِكُ هَذَا الْمُلْكَ، وَهَذَا السُّلْطَانَ وَيَكُوْنُ عَزِيْزَ مِصْرَ فَأَكْرَمَهُم وَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُم، وَكَانُوا عَشَرَةً ؛ لِأَنَّ أَخَاهُ مِنْ أُمِّهِ بَنْيَامِيْنَ لَمْ يَحْضَرْ مَعَهُم لِشِدَّةِ حُبِّ أَبِيْهِ يَعْقُوْبَ ﷺ لَهُ بَعْدَ فَقْدِهِ يُوْسُفَ ، وَخَطَّطَ لِإِحْضَارِ أَخِيْهِ إِلَى مِصْرَ لِتَكْتَمِلَ عِنْدَهُ الأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا التِي رَآهَا فِي مَنَامِهِ ، وَيُحْضِرُ وَالِدَهُ وَكُلَّ أَهْلِهِ ؛ لِيَجْتَمِعَ عِنْدَهُ إِخْوَتُهُ الأَحَدُ عُشُرُ كُوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ.

وَسَأَلَهُم : لِمَاذَا قَصَدْتُمْ مِصْرَ ؟

قَالُوا أَصَابَنَا القَحْطُ كَمَا أَصَابَ غَيْرَنَا، وَقَالَ لَنَا أَبُوْنَا يَعْقُوْبُ أَرَى أَنْ تَقْصِدُوا مِصْرَ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الطَّعَامَ يُبَاعُ فِيْهَا ، وَأَنَّ صَاحِبَهَا رَجُلٌ صَالِحٌ فَاذْهَبُوا إِلَيْهِ فَإِنَّهُ سَيُحْسِنُ إِلَيْكُم إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَقَد جِئْنَا لِنَمْتَارَ كَمَا يَمْتَارُ غَيْرُنَا ، وَكَانَ يُوْسُفُ ﷺ بِانْتِظَارِ قُدُوْمِهِم مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيْلٍ.

فقال لهم: أَأَنْتُمْ عُشُرَةُ إِخْوَةٌ؟ !

قالوا: نَعَمْ .

قَالَ : كُلُّكُم مِنْ أَبٍ وَأُمٍّ؟

قَالُوا : أَبُوْنَا وَاحِدٌ وَهُوَ النَّبِيُّ يَعْقُوْبُ ابْنُ النَّبِيِّ إِسْحَاقَ ابْنِ النَّبِيِّ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلِ الرَّحْمَنِ (عَلَيْهِ وَعَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) وَأُمَّهَاتُنَا شَتَى

قَالَ: مَابَالُ أَبِيْكُم لَمْ يَسْتَبْقِ وَاحِدًا مِنْكُمْ يَأْنَسُ بِهِ؟

قَالُوا: بَلَى قَدْ فَعَلَ، فَقَدْ كَانَ لَنَا أَخٌ أَصْغَرُ مِنَّا خَرَجَ مَعَنَا إِلَى الصَّيْدِ ، فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَحَزِنَ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيْدًا ، وَهُوَ دَائِمُ البُكَاءِ عَلَيْهِ بُكَاءً أَثَّرَ عَلَى بَصَرِهِ ، وَلِأَخِيْنَا الذِي أَكَلَهُ الذِّئْبُ أَخٌ مِنْ أُمِّهِ لَايُفَارِقُهُ أَبَدًا خَوْفًا عَلَيْهِ يُحِبُّهُ حُبًّا جَمًّا وَيَتَسَلَّى بِهِ وَلَا يُفَرِّطُ فِيْهِ . ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ۝٦٠ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ

(١) سورة يوسف ، الآية : ٥٨.

أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾[1].

قَالَ: إِنِّي أَتَوَجَّسُ رِيبَةً مِنْكُمْ فَمَنْ يَعْلَمُ هَذَا الذِي قُلْتُمُوْهُ قَالُوا يَاأَيُّهَا العَزِيْزُ نَحْنُ غُرَبَاءُ فِي هَذَا البَلَدِ وَلَا يَعْرِفُنَا أَحَدٌ.

قَالَ لَعَلَّكُم جِئْتُمُ عُيُونًا تَبْحَثُوْنَ عَنْ ثَغَرَاتٍ فِي بِلَادِنَا.

فَقَالُوا: لَا وَاللهِ مَا نَحْنُ بِجَوَاسِيْسَ، وَإِنَّمَا نَحْنُ إِخْوَةٌ أَبْنَاءُ يَعْقُوْبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلِ، وَلَوْ عَرَفْتَ أَبَانَا لَكَرُمْنَا عَلَيْكَ ، فَإِنَّهُ نَبِيُّ اللهِ وَابْنُ أَنْبِيَائِهِ، وَإِنَّهُ لَمَحْزُوْنٌ.

قَالَ : وَمَا الذِيْ أَحْزَنَهُ؟ لَعَلَّ حُزْنَهُ بِسَبَبِ جَهْلِكُم وَسَفَهِكُم.

قَالُوا : أَيُّهَا العَزِيْزُ لَسْنَا بِسُفَهَاءٍ ، وَلَا جُهَّالاً وَلَكِنَّهُ كَمَا أَخْبَرْنَاكَ مَحْزُوْنٌ بِسَبَبِ أَخِيْنَا الذِي هَلَكَ وَاحْتَفَظَ بِأَخِيْهِ لِأُمِّهِ وَأَبِيْهِ يَتَسَلَّى بِهِ.

قَالَ فَأْتُوْنِي بِأَخِيْكُم الذِي مِنْ أَبِيْكُم إِنْ كُنْتُم صَادِقِيْنَ .

قَالُوا إِنَّ أَبَانَا لَا يَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِهِ.

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ أَيْ: وَلَمَّا أَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُم حِمْل بَعِيْر مِنَ المَؤُونَةِ.

﴿ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ يَعْنِي بَنْيَامِيْن ﴿ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أَيْ لَا أَبْخَسُ النَّاسَ شَيْئَهُمْ وَأُتِمُّ لَهُمْ كَيْلَهُمْ؟﴿وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ أَيْ وَأَنَا خَيْرُ المُضَيِّفِيْنَ مَأْخُوْذٌ مِنَ النُّزُلِ وَهُوَ الطَّعَامُ، وَقِيْلَ خَيْرُ المُنْزِلِيْنَ لِلأُمُوْرِ مَنَازِلَهَا فَتَدْخُلُ فِيْهِ الضِّيَافَةُ وَغَيْرُهَا مَأْخُوْذٌ مِنَ المَنْزِلِ.

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ﴾ أَيْ: إِنْ لَمْ تُحْضِرُوا أَخَاكُم لِأَبِيْكُم فَلَيْسَ لَكُم عِنْدِي طَعَامٌ أَكِيْلُهُ لَكُم، وَالمُرَادُ بِالكَيْلِ المَكِيْلُ ﴿وَلاَ تَقْرَبُونِ﴾ أَيْ: وَلَا تَقْرَبُوا دَارِي وَبِلَادِي، جَمَعَ لَهُم الوَعْدَ وَالوَعِيْدَ ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ

(١) سورة يوسف ، من الآية ٥٩ الى ٦٢.

يَرْجِعُونَ﴿٦٣﴾

﴿ قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ أَيْ: نَطْلُبُهُ مِنْهُ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُرْسِلَهُ مَعَنَا ، أَوْ نَسْتَخْدِعُهُ حَتَى يُخْرِجَهُ مَعَنَا ﴿ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ وإنا لفاعلون ما أمرتنا به.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾

أَيْ قَالَ يُوْسِفُ ﷺ لِأَعْوَانِهِ الذِيْنَ يَكِيلُوْنَ الطَّعَامَ اجعلوا مَا جاءوا به ثمنًا لطعامهم في أوعيتهم، قيل كانت بضاعتهم الأدم ، وقيل كانت الورق ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ ﴾ أَيْ لَعَلَّهُم يَعْرِفُوْنَ مَتَاعَهُم إِذَا رَجَعُوا إِلَى أَهْلِهِم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ مَرَّةً أُخْرَى، بَعْدَ ذَلِكَ لِطَلَبِ المِيْرَةِ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ إِكْرَامًا لَهُم لِيَرْجِعُوا إِلَيْهِ ﷺ ،وَقِيْلَ: إِنَّهُ خَافَ أَلَّا يَكُوْنَ عِنْدَهُم مِنَ الوَرِقِ مَا يَرْجِعُوْنَ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَقِيْلَ : إِنَّهُ مَا أَخَذَ ثَمَنَ الطَّعَامِ مِنْ أَبِيْهِ وَإِخْوَتِهِ مَعَ حَاجَتِهِم إِلَيْهِ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِمْ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَكَرَمًا ، وَقِيْلَ: إِنَّمَا فَعَلَ ﷺ ذَلِكَ لِعِلْمِهِ أَنَّ دِيْنَهُم وَأَمَانَتَهُم تَحْمِلُهُم عَلَى رَدِّ بِضَاعَتِهِم إِذَا وَجَدُوْهَا فِي رِحَالِهِم ، وَلَا يَعْرِفُوْنَ أَنَّ العَزِيْزَ نَفْسَهُ هُو الذِي أَمَرَ بِذَلِكَ فَيَرْجِعُوْنَ لِيَرُدُّوا ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا قِيْلَ لِمَاذَا لَمْ يُعَرِّفْهُم نَفْسَهُ مَعَ عِلْمِهِ بِشَدَّةِ حُزْنِ أَبِيْهِ وَقَلَقِهِ وَاحْتِرَاقِهِ عَلَى أَلَمِ فِرَاقِهِ؟

فَالجَوَابُ: إِنَّهُ مَعَ عِلْمِهِ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَمَا عِنْدَهُ مِثْلُهُ نَحْوَ أَبِيْهِ لَكِنَّهُ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ اسْتِكْمَالاً لِلْمِحْنَةِ وَزِيَادَةً فِي الأَجْرِ لَهُمَا ﷺ ؛ ولعلم الله تعلى أن الحكمة في تشديد البلية رفعا لمنزلتهما السنية ؛ ولأنهم لو عرّفهم بنفسه ربما لم يحملوا أخاه إليه ولم يرجعوا إليه، وعدم الإذن هو الأرجح[1]. ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2] أَيْ: فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا : يا أبانا ! لقد منع منا الكيل، ولقد جئناك من عند أعظم ملك، ولم يرَ الناس مثله حكما وعلما وخشوعا وسكينة ووقارا، وإن كان له شبيه فهو يشبهك، ولكننا أهل بيت خلقنا للبلاء ، فقد اتهمنا عزيز مصر ولم يصدق كلامنا حتى تبعث معه أخانا بنيامين ، وتكتب له رسالة معه تذكر فيها شيخوختك وضعفك

(١) مجمع البيان ، ٥ / ٣٢٦ـ٣٢٨.
(٢) سورة سورة يوسف ، الآية : ٦٣.

وضعف بصرك وحزنك، وَقَدْ ﴿ مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ﴾ في المستقبل إن لم نأت بأخينا لقوله: ﴿ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا ﴾ بنيامين ﴿ نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أَيْ نَأْخُذُ الطَّعَامَ بِالكَيْلِ إِنْ أَرْسَلْتَهُ مَعَنَا اكْتَلْنَا ، وَإِلَّا مُنِعْنَا مِنَ الكَيْلِ، و﴿ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا ﴾ بَنْيَامِيْنَ ﴿ نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ مِنْ أَنْ يُصِيْبَهُ مَكْرُوْهٌ[1] ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2] أَيْ: قَالَ يَعْقُوْبُ (عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ) لَا آمِنُكُم عَلَى بَنْيَامِيْنَ فِي الذَّهَابِ بِهِ ضَمَنْتُمْ لِيَ حِفْظَهُ ، وَضَيَّعْتُمُوْهُ أو أهلكتموه أو غيبتموه عني ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أَيْ: حِفْظُ اللهِ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِكُم ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ يَرْحَمُ ضَعْفِي وَكِبَرَ سِنِّي يرده إليَّ، وَوَرَدَ فِي الخَبَرِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَرُدَّنَّهُمَا مِنْ بَعْدِ مَا تَوَكَّلْتَ عَلَيَّ[3]، وَذَهَبُوا مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مِصْرَ وَمَعَهُم أَخُوْهُمُ بَنْيَامِيْنُ ، ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ دُخُوْلِهِم عَلَى أَخِيْهِم يُوْسُفَ عَزِيْزِ مِصْرَ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[4] أَيْ : وَلَمَّا دَخَلَ أَوْلَادُ يَعْقُوْبَ عَلَى أَخِيْهِم يُوْسُفَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ) ضَمَّ إِلَيْهِ أَخَاهُ من أبيه وأمه بَنْيَامِيْنَ، وَأَنْزَلَهُ مَعَهُ، وَقِيْلَ: إِنَّهُمْ لَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا هَذَا أَخُوْنَا الذِي طَلَبْتَ حُضُوْرَه عِنْدَكَ ، فَقَالَ: أَحْسَنْتُمْ ، ثُمَّ أَنْزَلَهُم وَأَكْرَمَهُم ثُمَّ أَضَافَهُم، وَطَلَبَ مِنْهُم أَنْ يَجْلِسَ كُلُ أَخَوَيْنِ مِنْ أُمٍّ عَلَى مَائِدَةٍ فَجَلَسُوا وَبَقِيَ بَنْيَامِيْنُ قَائِمًا فَرْدًا.

فَقَالَ لَهُ يُوْسُفُ : مَا لَكَ لَا تَجْلِس مع إِخْوَتِكَ ؟!

فَقَالَ: أَنْتَ قُلْتَ لِيَجْلِسْ كُلُّ أَخَوَيْنِ بَنِي أُمٍّ عَلَى مَائِدَةٍ، وَلَيْسَ لِي فِيْهِم ابْنُ أُمٍّ .

فَقَالَ لَهُ يُوْسُفُ: أَمَا كَانَ لَكَ ابْنُ أُمٍّ؟

قال: بَلَى .

(١) مجمع البيان ، ٥ / ٣٢٨ـ ٣٣٠.
(٢) سورة يوسف ، الآية : ٦٤.
(٣) مجمع البيان ، ٣٢٨ ٣٣٠ .
(٤) سورة يوسف ، الآية : ٦٩.

قَالَ يُوْسُفُ: فَمَاذَا فَعَلَ؟

قَالَ زَعَمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ الذِّئْبَ أَكَلَهُ.

قَالَ فَمَا بَلَغَ مِنْ حُزْنِكَ عَلَيْهِ؟

قَالَ وُلِدَ لِي أَحَدَ عَشَرَ ابْنًا اشْتَقَقْتُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُم اسْمًا مِنْ اسْمِهِ.

قَالَ لَهُ يُوسُفُ : عُانُقْتَ النِّسَاءَ وَشَمَمْتَ الوَلَدَ مِنْ بَعْدِ أَخِيْكَ؟!

قَالَ بَنْيَامِيْنُ: إِنَّ لِي أَبًا صَالِحًا نَبِيًّا مُرْسَلًا ، أَمَرَنِي أَنْ أَتَزَوَّجَ ، وَقَالَ لِيَ: عَسَى اللهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْكَ ذُرِّيَّةً تُثْقِلُ الأَرْضَ بِالتَّسْبِيْحِ.

فَقَالَ لَهُ يُوْسُفُ عليه السلام: تَعَالَ فَاجْلِسْ مَعِي عَلَى مَائِدَتِي فَأَنَا لَا أُحِبُّ الأَكْلَ وَحْدِي.

فَقَالَ إِخْوَةُ يُوْسُفَ: لَقَدْ فَضَّلَ اللهُ يُوْسُفَ وَأَخَاهُ عَلَيْنَا، حَتَّى أَنَّ عَزِيْزَ مِصْرَ أَحَبَّ بَنْيَامِيْن وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى مَائِدَتِهِ ، ورُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام[1] ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ ﴾ أَيْ أَطْلَعَهُ عَلَى أَنَّهُ أَخُوْهُ ، وَقِيْلَ أَرَادَ تَطْيِيْبَ خَاطِرِهِ ، فَقَالَ لَهُ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ فَأَنَا بِمَنْزِلَةِ أَخِيْكَ الهَالِكِ، وَلَمْ يَعْتَرِفْ لَهُ بِالنِّسْبَةِ ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾أَيْ: فَلَا تَحْزَنْ لِشَيءٍ سَلَفَ مِنْ إِخْوَتِكَ[2] .

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[3] أَيْ فَلَمَا أَعْطَاهُمْ مَا جَاؤُوا لِطَلَبِهِ مِنَ المِيْرَةِ، وَكَالَ لَهُمَ الطَّعَامَ الذِي جَاؤُوا مِنْ أَجْلِهِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ مِنْهُم حِمْلَ بَعِيْرٍ، وَيُسَمَّى حِمْلُ البَعِيْرِ لِمَنْ يَتَسَلَّمَهُ جَهَازًا ﴿ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾ أَيْ : أَمَرَ عليه السلام مَنْ فِي مَعِيَّتِهِ أَنْ يَجْعَلُوا الصَّاعَ، وَهُوَ المِكْيَالُ ، وَقِيْلَ هِيَ المَشْرَبَةَ التِي كَانَ يَشْرَبُ بِهَا المَلِكُ ، وَقَدْ أَهْدَاهَا إِلَى عَزِيْزِ مِصْرَ يُوْسُفَ عليه السلام وَكَانَتْ ثَمِيْنَةً مِنَ الذَّهَبِ ، أَوْ مِنَ الفِضَّةِ المُرَصَّعَةِ بِالجَوَاهِرِ وَاتَّخَذُوْهَا فِي سِنِيْنِ القَحْطِ الشِّدَادِ صَاعًا يَكِيْلُوْنَ

(١) النبوة، للشيخ الصدوق أبي جعفر مُحَمَّدِ بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، ١١٨ ، ومجمع البيان ، ٥ / ٢٩٠.

(٢) مجمع البيان ، ٥ / ٣٣٠ـ ٣٣٥.

(٣) سورة يوسف ، الآية : ٧٠.

فِيْهِ الطَّعَامَ لِعِزَّتِهِ وَقِلَّتِهِ ، فَأَمَرَ أَنْ تُوْضَعَ فِي رَحْلِ أَخِيْهِ بَنْيَامِيْنِ.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أَيْ : نَادَى مُنَادٍ بِصَوْتٍ عَالٍ مَسْمُوْعٌ ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ ، وَمَا أَرَادَ يُوْسُفُ عليه السلام سَرِقَةَ الصَّاعِ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّكُم سَرَقْتُم يُوْسُفَ مِنْ أَبِيْهِ (عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ) وَأَلْقَيْتُمُوْهُ فِي البِئْرِ.

﴿ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴾[1] ﴿ قَالُواْ ﴾أَيْ: قَالَ أَصْحَابُ العِيْرِ ﴿وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم﴾ أَيْ: عَلَى أَصْحَابِ يُوْسُفَ ﴿ مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ أَيْ مَا الذِي فَقَدْتُمُوْهُ مِنْ مَتَاعِكُم؟

﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ ﴾[2] أَيْ: قَالَ أَصْحَابُ يُوْسُفَ نَفْقِدُ صَاعَ المَلِكِ وَسِقَايَتَهُ ﴿ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ ﴾ ﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ ﴾ أَيْ قَالَ المُنَادِي : مَنْ جَاءَ بِالصُّوَاعِ فَلَهُ حِمْلُ بَعِيْرٍ مِنَ الطَّعَامِ ﴿ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ ﴾ أَيْ: كَفِيْلٌ ضَامِنٌ[3].

﴿قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾[4] أَيْ: قَالَ إِخْوَةُ يُوْسُفَ: وَاللهِ أَيُّهَا القَوْمُ لَقَدْ عَرَفْتم من سيرتنا معكم أَنَّنَا ﴿ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ قَطُّ ، وَقَدْ ظَهَرَ لَكُمْ مِنْ حُسْنِ سِيْرَتِنَا وَمُعَامَلَتِنا مَعَكُم مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَ مَا عَلِمْتُمْ بِهِ أَنَّهُ لَيْسَتِ السَّرِقَةُ مِنْ شَأْنِنَا ، وأَنَّهُم رَدُّوا الأَمْوَالَ التِي وَجَدُوْهَا فِي رِحَالِهِم، فَإِذَا كُنَّا قَدْ تَحَرَّجْنَا فَقَدْ عَلِمْتُم أَنَّنَا لَا نَسْرِقُ لِأَنَّ مَنْ رَدَّ مَا وَجَدَهُ لَا يَكُوْنُ سَارِقًا

﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴾[5] أَيْ: قَالَ الذِيْنَ نَادَوْهُم فَمَا جَزَاءُ السِّرَقَةِ إِنْ كُنْتُم كَاذِبِيْنَ فِي قَوْلِكُم: إِنَّا لَمْ نَسْرِقْ؟ أَوْ فَمَا جَزَاءُ السَّارِقِ؟

(١) سورة يوسف ، الآية : ٧١.
(٢) سورة يوسف ، الآية : ٧٢.
(٣) مجمع البيان ، ٥ / ٣٣٥.
(٤) سورة يوسف ، الآية : ٧٣.
(٥) سورة يوسف ، الآية : ٧٤.

﴿قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[1] أَيْ: قَالَ إِخْوَة يُوْسُفَ : جَزَاءُ السَّرِقَةِ السَّارِقُ، وَهُوَ الذِي وُجِدَ المَسْرُوْقُ فِي رَحْلِهِ ومعناه أَنّ فِي شَرِيْعَةِ بَنِي إِسْرَائِيْلَ أَنَّ السَّارِقَ يُسْتَرَقُّ ، وَقِيْلَ : إِنَّ السَّارِقَ فِي حُكْمِ آلِ يَعْقُوْبَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ) أَنَّ السَّارِقَ يُسْتَرَقُّ وَيُسْتَخْدَمُ عَلَى قَدْرِ سَرِقَتِهِ ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أَيْ: مِثْلَمَا ذَكَرْنَا فِي جَزَاءِ السَّارِقِيْنَ ، يَعْنِي إِذَا سَرَقَ اسْتُرِقَّ ، وَقِيْلَ إِنَّ ذَلِكَ جَوَابُ يُوْسُفَ ﷺ لِقَوْلِ إِخْوَتِهِ: إِنَّ جَزَاءَ السَّارِقِ اسْتِرْقَاقَهُ[2]. ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[3] ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ﴾ أَيْ: أَمَرَ يُوْسُفُ ﷺ بالبدء بتفتيش أوعية إخوته قبل وعاء أخيه لإزالة التهمة

﴿ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ ﴾ أَيْ اسْتَخْرَجَ السِّقَايَةَ ﴿ مِن وِعَاء أَخِيهِ ﴾ وَإِنَّمَا بَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِم لِأَنَّهُ لُوْ بَدَأَ بِوِعَاءِ أَخِيْهِ لَعَلِمُوا أَنَّهُ هُوَ الذِي وَضَعَهَا فِيْهِ ، وَإِنَّمَا قَال : ﴿اسْتَخْرَجَهَا﴾ لِأَنَّهُ أَرَادَ السِّقَايَةَ، وَلَمَّا قَالَ: ﴿وَلِمَن جَاء بِهِ﴾ أَرَادَ الصُّوَاعَ لِأَنَّهُ قَالَ قَبْلَهَا: ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ ، وَقَالُوا : إِنَّ الصُّوَاعَ أَوِ الصَّاعَ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ فَأَقْبَلُوا عَلَى بَنْيَامِيْنَ بِالتَّقْرِيْعِ ، فَقَالُوا لَهُ: فَضَحْتَنَا أَهَذَا مِنْكَ جَزَاءُ إِكْرَامُ العَزِيْزِ لنا ؟ !

وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الذِي وَضَعَ الصُّوَاعَ فِي رَحْلِهِ هُوَ نَفْسُهُ الذِي وَضَعَ الدَّرَاهِمَ فِي رِحَالِهِم، وَلَكِنَّهُ مَأْمُورٌ أَلَّا يَقُوْلَ ذَلِكَ ، ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أَيْ: مِثْلَ ذَلِكَ الكَيْدِ أَمَرْنَا يُوْسُفَ لِيَكِيْدَ بِمَا تهيأ له أن يحبس أَخَاهُ بَنْيَامِيْنَ، أَيْ: أَلْهَمْنَا يُوْسُفَ هَذَا الكَيْدَ وَالحِيْلَةَ ، وَجَازَيْنَاهُمْ عَلَى صَنِيعِهِم بِأَخِيْهِم يُوْسُفَ لِيَصِلَ الخَبَرُ إِلَى أَبِيْهِ (عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ)، وقيل معنى ﴿كِدْنَا﴾ صنعنا ليوسف، وقيل ألهمنا، وقيل دبرنا بدلالة قوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلِمَ مِنْ صَلَاحَ هَذَا التَّدْبِيْرِ مَا لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ ﴾ ، أَيْ مَاكَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْخُذَ

(١) سورة يوسف ، الآية : ٧٥.
(٢) مجمع البيان ، ٥ / ٣٣٦.
(٣) سورة يوسف ، الآية : ٧٦.

أَخَاهُ فِي حُكْمِ مَلِكِ مِصْرَ وَقَضَائِهِ وَيَحْبِسُهُ عِنْدَهُ إِلَّا بِحُكْمِ مَلِكِ مِصْرَ، وَبِسَبَبِ قَانُوْنِي، وَكَانَ المَلِكُ عَادِلًا ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ فِي سُلْطَانِهِ وَحُكْمِه وَشَرِيْعَتِهِ فِي عِقَابِ السَّارِقِ، وَلَوْلَا هَذَا التَّدْبِيْرِ لَمَا كَانَ يُمْكِنُهُ أُخْذَ أَخِيْهِ، ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ﴾ أَنْ يَجْعَلَ لِيُوْسُفَ عليه السلام عُذْرًا فِيمَا فَعَلَ، أَوْ إِلَّا أَنْ يَأْمُرَهُ اللهُ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مَا كَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَقُوْلَ هَذَا أَخِي، وَكَانَ لَا يُمْكِنُهُ حَبْسَهُ عِنْدَهُ إِلَّا بِتَدْبِيْرِ سَبَبٍ، وَإِلَّا فَسَيَكُوْنُ ظَالِمًا، وَكَانَ مِنْ سُنَّةِ آلِ يَعْقُوْبَ عليه السلام أَنْ يُسْتَرَقَّ، وَفِي حُكْمِ مَلِكِ مِصْرَ وَقَانُوْنِهِ أَنْ يُضْرَبَ وَيُغَرَّمَ فَحَبَسَهُ يُوْسُفَ عِنْدَهُ، وَالْتَزَمَ قَوْلَهُم وَحُكْمَهُم الذِي جَرَى عَلَى لِسَانِهِم مُبَالَغَةً فِي نَفِي السَّرِقَةِ عَنْ أَنْفُسِهِم، وَكَانَ ذَلِكَ مُرَادَهُ، وَقَدْ شَاءَ اللهُ ذِلِكَ فَأَمَرَهُ بِهِ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ كَيْدًا لِأَنَّهُ لَوْلَا هَذَا السَّبَبُ لَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ أَخْذُهُ، وَالكَيْدُ مَا يَفْعَلُهُ فَاعِلُهُ لِيُوصِلَ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ ضَرَرًا مِنْ حَيْثُ لَا يُعْلِمُهُ، أَوْ لِيَنَالَ مِنْه شَيْئًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْلِمَهُ[1].

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء﴾ بِالعِلْمِ وَالنُّبُوَّةِ، كَمَا رَفَعْنَا دَرَجَةَ يُوْسُفَ عَلَى إِخْوَتِه ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ وقيل: بالتقوى والتوفيق والألطاف.

يَعْنِي إِنَّ كُلَّ عَالِمٍ فَإِنَّ فَوْقَهُ أَعْلَمُ مِنْهُ حَتَّى يَنْتَهِي العِلْمُ إِلَى اللهِ تَعَالَى العَالِمِ بِجَمِيْعِ المَعْلُوْمَاتِ لِذَاتِهِ فَيَقِفُ العِلْمُ عَلَيْهِ تَعَالَى، وَلَا يَتَعَدَّاهُ.

﴿قَالُواْ يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]، حَاوَلُوا بِالتَّوَسُّلِ وَبَشَتَى الوَسَائِلِ إِقْنَاعَ العَزِيْزَ أَنْ يَأْخُذَ أَحَدَهُمْ مَكَانَهُ فَامْتَنَعَ وَلَمْ يُجِبْهِم ﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذاً لَّظَالِمُونَ﴾[3]، وَلَمْ يَقُلْ سَرَقَ تَحَرُّزًا مِنَ الكَذِبِ ولو فعلنا ذلك لكنا ظالمين[4] ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ اللهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ

(١) مجمع البيان، ٥ / ٣٣٧.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٨.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٧٩.
(٤) مجمع البيان، ٥ / ٣٣٨-٣٤٠.

الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[1] ، فَلَمَّا يَئِسُوا مِنْ إِقْنَاعِهِ بِإِطْلَاقِ سَرَاحِ أَخِيهِم بَنْيَامِيْنَ اجْتَمَعُوا وَلَيْسَ مَعَهُم أَحَدٌ غَرِيْبٌ ، لِلتَّدَاوُلِ فِي أَمْرِهِم؛ ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ فِي السِّنِّ أَوْ أَرْشَدُهُم ، قِيْلَ هُوَ لَاوِي وَقِيْل غَيْرُهُ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ اللهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾ أَيْ قَصَّرْتُم فِي أَمْرِهِ ، وَكُنْتُم قد عاهدتم أباكم أن تردوه اليه سالما فنقضتم العهد، وقال لهم أنا لن أترك أرض مصر ، أمّا انتم احملوا إلى أهلكم الطعام وأخبروهم بالواقعة﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢﴾[2] فَلَمَّا سَمِعَ أَبُوْهُم يَعْقُوْبُ عليه السلام رِوَايَتَهُم صُعِقَ هَوْلِ الصَّدْمَةِ بِافْتِقَادِهِ بَنْيَامَيْنَ بَعْدَ يُوْسُفَ وَلَمْ يُصَدِّقْ أَنَّ ابْنَهُ سَرَقَ ، ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾[3] ، وَوَاصَل حُزْنَه وَبُكَاءَهُ عَلَى وَلَدَيْهِ يُوْسُفَ وَبَنْيَامِيْنَ، ثُمَّ جَمَعَ أَوْلَادَهُ وَكَتَبَ مَعَهُم كِتَابًا مُؤَثِّرًا إِلَى عَزِيْزِ مِصْرَ يَسْتَعْطِفُهُ وَيَرْجُوْهُ إِطْلَاقَ سَرَاحِ وَلَدِهِ بَنْيَامِيْن وَوَصَّاهُمْ بِوَصَايَاهُ ، وَقَالَ لَهُمْ: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[4]، وَلَمَّا قَرَأَ يُوْسُف رِسَالَةَ أَبِيْهِ الْمُؤَثِرَةَ وَسَمِعَ تَضَرُّعَ إِخْوَتِهِ وَتَوَسُّلَهُم بَكَى[5] ، و﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ

(١) سورة يوسف ، الآية : ٨٠.
(٢) سورة يوسف ، الآية : ٨١.
(٣) سورة يوسف، من الآية ٨٣ الى ٨٦.
(٤) سورة يوسف، الآية : ٨٧.
(٥) النبوة للشيخ الصدوق ، ١٢٠، ومجمع البيان ، ٥ / ٣٤٨

لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾[1] قِيْلَ : إِنَّهُ لَمَّا عَرَّفَهُم نَفْسَهُ سَأَلَهُم عَنْ حَالِ أَبِيْهِ، فَقَالَ: مَافَعَلَ أَبِي بَعْدَي؟

قَالُوا لَهُ لَقَدْ فَقَدَ بَصَرَهُ لِكَثْرَةِ بُكَائِهِ عَلَيْك ، فَقَالَ لَهُم: ﴿اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾، وَقَالُوا : لَمَّا أَلْقَى نَمْرُوْدُ إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلَ فِي النَّار جَاءَهُ جَبْرَئِيْلُ عليه السلام مِنَ الجَنَّةِ بِهَذَا القَمِيْصِ وطُنْفُسِةٍ[2] فجَلَسَ عَلَى الطُّنْفُسةِ فِي النَّارِ ولَبِسَ القَمِيْصَ، وَكَسَا إِسْحَاقَ القَمِيْصَ ، وكساه إسحاقُ يعقوبَ وَكَسَاهُ يَعْقُوْبُ يُوْسُفُ عليه السلام[3] ، وَإِعَادَةُ بَصِرَ يَعْقُوْبَ بِبَرَكَةِ هَذَا القَمِيْصِ مُعْجِزَةٌ لَا يَعْرِفُهَا وَلَدُهُ يُوْسُفُ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِه وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) إِلَّا عَنْ طَرِيْقِ الوَحِيِّ، وَقَدْ أَمَرَ جَبْرَئِيْل عليه السلام عَنِ الله تَعَالَى أَنْ أَرْسِلْ قَمِيْصَكَ إِلَى أَبِيْكَ، فَإِنَّ فِيْه رِيْحَ الجَنَّةِ لَا يُلْقَى عَلَى مُبْتَلَى أَوْ سَقِيْمٍ إِلَّا صَحَّ وَعُوْفِيَ.

وَأَرْسَلَ يُوْسفُ إِلَيْه (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِه وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) قَمِيْصَهُ فِي يَدِ أَحَدِ إِخْوَتِهِ، لِيَتَوَجَّهَ بِهِ إِلَيْهِ وَيُوصِلَهُ إِلَيْهِ فِي أَقْرَبِ وَقِتٍ مُمْكِنٍ[4]، ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ﴾[5] يَعْنِي لَمَّا انْفَصَلَتِ القَافِلَةُ مِنْ مِصْرَ وَتَوَجَّهَتْ إِلَى الشَّامِ حَيْثُ يُقِيْمُ يَعْقُوْبُ، وَأَهْلُ كَنْعَانَ وفيه ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ ﴾ يَعْقُوْبُ عليه السلام لِأَهْلِهِ الذِيْنَ عِنْدَهُ مِنْ بَنَاتِهِ وَزَوْجَاتِهِ وَأَحْفَادِهِ وَأَسْبَاطِهِ ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ فَقَدْ وَجَدَ يَعْقُوْبُ رِيْحَ قَمِيْصِ يُوْسُفُ لَمَّا انْفَصَلَتِ العِيْرُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ، وَهُوَ فِي كَنْعَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ عَلَى مَسِيْرَةِ عَشْرِ لَيَالٍ ، وَقِيْلَ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ وَقِيْلَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَقِيْلَ: إِنَّ رِيْحَ الصَّبَا اسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا فِي أَنْ تَنْقُلَ رِيْحَ يُوْسُفَ إِلَى يَعْقُوْبَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ البَشِيْرُ بِالقَمِيْصِ فَأَذِنَ لَهَا فَأَتَتْهُ بِهَا

(١) سورة يوسف، من الآية ٨٩ الى ٩٣.
(٢) الطنفسة أصغر من البساط يجُلسُ عليها .
(٣) مجمع البيان ، ٥ / ٣٥٠.
(٤) نفسه ، ٥/ ٣٥٠ ٣٥١.
(٥) سورة يوسف، الآية : ٩٤.

﴿ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ لَوْلَا أَنْ تُكَذِّبُوْنَ، وَالفَنَدُ الكَذِبُ، ﴿قَالُواْ تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ﴾[1] أَيْ: قَالُوا، إِشْفَاقًا عَلَيْهِ وَتَرَحُّمًا: إِنَّكَ لَفِي ذَهَابِكَ القَدِيْمَ عَنِ الصَّوَابِ ، وَبِنَاءِ آمَالِكَ العَرِيْضَةِ عَلَى عَوْدَةِ يُوْسُفَ إِلَيْكَ ؛ لِأَنَّهُم كَانُوا يَعْتَقِدُوْنَ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيْدٍ، وَمَا أَرَادُوا بِذَلِكَ الضَّلَالَ عَنِ الدِّيْنِ، لِعِلْمِهِم بِنُبُوَّتِهِ ﷺ وَإِنَّمَا أَرَادُوا المُبَالَغَةَ فِي حُبِّ يُوْسُفَ، أَوْ أَرَادُوا إِنَّكَ لَفِي شِقَائِكَ القَدِيْمِ ﴿فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2] .

فَلَمَّا وَصَلَ حَامِلُ القَمِيْصِ﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾ أَيْ أَلْقَى البَشِيْرُ قَمِيْصَ يُوْسُفَ عَلَى وَجْهِ أَبِيْهِ يَعْقُوْبَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِه وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) فعاد بَصِيْرًا، فَعَادَ لَهُ بَصَرُهُ بَعْدَ العَمَى ، وَقُوَّتُهُ بَعْدَ الضَّعْفِ، وَشَبابُهُ بَعْدَ الهَرَمِ، وَسُرُوْرُهُ بَعْدَ الحُزْنِ !! فَقَالَ لِلْبَشِيْرِ: مَا أَدْرِي مَا أَثِيْبُكَ بِهِ ؟ هَوَّنَ اللهُ عَلَيْكَ سَكَرَاتِ المَوْتِ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أَيْ قَالَ يَعْقُوْبُ ﷺ : إِنِّي كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَصْدُقُ رُؤْيَا وَلَدِي يُوْسُفَ، وَيَكْشِفُ الشَّدَائِدَ عَنْ عِبَادِهِ، وَمِنْهُمُ أَنْبِيَاؤُهُ بِالصَّبْرِ،وَكُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ ذَلِكَ.

قَالُوا : كَانَ اللهُ سُبْحَانَه وَتَعَالَى قَد أَعْلَمَهُ بِحَيَاتِهِ وَلَمْ يُعْلِمْهُ بِمَكَانِهِ[3].

هَذَا هُوَ القَمِيْصُ الثَّالِثُ مِنْ قُمْصَانِ يُوْسُفَ الذِي وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي سُوْرَةِ يُوْسُفَ ، وَهُوَ قَمِيْصُ البُشْرَى الذِي بَشَّرَ يَعْقُوْبَ بِبَقَاءِ وَلَدِهِ يُوْسُفَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِه وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ بَعْدَ غِيَابٍ طَوِيْلٍ عَنْهُ ، وَأَعَادَ إِلَيْهِ بَصَرَهُ بَعْدَ العَمَى ، وَالقُوَّةَ بَعْدَ الضَّعْفِ وَالشَّبَابَ بَعْدَ الهَرَمَ ، وَالفَرَحَ بَعْدَ الحُزْنِ وَالسَّعَادَةَ بَعْدَ الشَّقَاءِ .

نَبِيُّ ابْنُ نَبِيٍّ ابْنِ نَبِيٍّ .

تَتَحَدَّثُ السُّوْرَةُ عَنْ نَبِيٍّ ابْنِ نَبِيٍّ ابْنِ نَبِيٍّ. عَنْ ثَلَاثَةِ أَنْبِيَاء.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

(١) سورة يوسف، الآية : ٩٥.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٩٦.
(٣) مجمع البيان ، ٥ / ٣٥١.

وَعَلَى ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]، وَالْمُرَادُ بِتَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]. أَيْ أَخْبِرْنَا بِتَعْبِيرِهِ[3].

فَذَكَرَتْ السُّوْرَةُ ثَلَاثَةَ أَنْبِيَاء مِنْ آبَاءِ نَبِيِّ اللهِ يُوْسُفَ هُمْ آبَاؤُهُ : إِبْرَاهِيْمُ ، وَإِسْحَاقُ ، وَيَعْقُوْبُ ﷺ ، وَفِيْهِمْ جَدُّهُ إِبْرَاهِيْمُ مِنْ أُوْلِي العَزْمِ، فَفِي حَدِيْثِ النَّبِيِّ عَنْ يُوْسُفَ ﷺ قَالَ: " الكَرِيْمُ ابْنُ الكَرِيْمِ ابْنِ الكَرِيْمِ بْنِ الكَرِيْمِ ، يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوْبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إبراهيمَ"ﷺ[4] ثَلَاثَةُ آبَاءٍ أَنْبِيَاء تَحَدَّثَ عَنْهُم نَبِيُّ اللهِ يُوْسُفُ ﷺ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾[5]، فَقَدْ حَفِلَتِ سُّوْرَةُ يُوْسُفَ المُبَارَكَةُ بِثَلَاثَةِ آبَاءٍ لِنَبِيِّ اللهِ يُوْسُفَ كُلُّهُمْ أَنْبِيَاء ، وثلاثة أزمنة : مع أبيه،ومع العزيز ، ومع الملك .

مع أبيه :

وُلِدَ يُوْسُفُ ﷺ في بيت أبيه في بلاد الشام مع كنعان، ومع إخوته وَعَمَّاته وخَالَتِهِ وَإِخْوَاتِهِ وَحَبَاهُ اللهُ جَمَالاً مُتَمَيِّزًا وَبَدَتْ عَلَيْهِ مَخَائِلُ النُّبُوْغِ فَأَحَبَهُ أَبُوْهُ وَكُلُّ مَنْ حَوْلَهُ إِلَّا إِخْوَتَهُ الذِيْنَ أَثَارَهُمْ عناية أَبِيْهِ بِهِ ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[6] فَمَكَرُوا بِهِ ، وَ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىَ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾[7]، فَامْتَنَعَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، حُبًّا لَهُ وَخَوْفًا عَلَيْهِ، فَقَدْ كَانَ بِهِ ضَنِيْنًا وَعَلَيْهِ حَرِيْصًا، وَمَا كَانَ يَحْتَمِلُ فِرَاقَهُ .

(١) سورة يوسف، الآية : ٦.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٣٦.
(٣) مجمع البيان ، ٥ / ٣١٢.
(٤) مجمع البيان ، ٥ / ٢٧٩.
(٥) سورة يوسف، الآية : ٣٨.
(٦) سورة يوسف، الآية : ٨.
(٧) سورة يوسف، الآية : ١١.

وَائتَمَرُوا بَيْنَهُم وَزَيَّنَ الشَّيْطَانُ لِبَعْضِهِم قَتْلَ أَخِيْهِم فَقَالُوا : ﴿ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ﴾[1]، لَوْلاَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَفِظَهُ مِنْهُمْ وَضَرَبَ عَلَى أَيْدِيْهِم، ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[2]،

وَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ ، رَمَوْهُ فِي البِئر ، ﴿ وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَـذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[3]، وَادَّعَى إِخْوَتُهُ أَنَّهُ عَبْدُهُم وَقَدْ أَبِقَ مِنْهُم،

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[4]، وَبِيْعَ نَبِيُّ اللهِ يُوْسُفُ عليه السلام فِي سُوْقِ النَّخَّاسِيْنَ فِي مِصْرَ .

في قصر عزيز مصر :

فَاشْتَرَاهُ عَزِيْزُ مِصْرَ الذِي لَمْ يُرْزَقْ وَلَدًا ، وَقَدَّمَهُ هَدِيَّةً لِزَوْجِهِ زُلَيْخَا، فَسِرَّتْ بِهِ ، وَأَعْجَبَ بِأَدَبِهِ وَعِلْمِهِ وَخُلُقِهِ ، المَلِكَ وَالعَزِيْزَ وَجَمِيْعَ مَنْ فِي قَصْرَي المَلِكِ وَالعَزِيْزِ، وَأَحَبُّوْهُ جَمِيْعًا، وَكَان يقرأ عَلَى عَزِيْزِ مَصْرَ مَا يَشَاءُ مِنَ الكُتُبِ المُخْتَارَةِ مِنْ مَكْتَبَتِهِ العَامِرَةِ فِي مُخْتَلَفِ اللغَاتِ، وَجَعَلَهُ المَسْؤُوْلَ عَنْ قَصْرِ المَلِكِ .

مع ملك مصر:

أُعْجِبَ المَلِكُ بِهِ وَقَرَّبَهُ مِنْهِ وَقَدَّمَ لَهُ الهَدَايَا وَالأَوْسِمَةَ ، وَلَمَّا مَاتَ المَلِكُ وَتَوَلَى ابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَرَأَى رُؤْيَا فَقَصَّهَا عَلَى المَلاَ مِنْ حَوْلِهِ : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[5]، فَعَجِزَ المُعَبِّرُوْنَ وَالسَّحَرَةُ، وَمَنِ ادَّعُوا العِلْمَ مِنْ مِصْرَ عَنْ تَأْوِيْلِ

(١) سورة يوسف، الآية : ٩.
(٢) سورة يوسف، الآية : ١٠.
(٣) سورة يوسف، الآية : ١٩.
(٤) سورة يوسف، الآية : ٢٠.
(٥) سورة يوسف، الآية : ٤٣.

رُؤْيَاهُ وَاعْتَرَفُوا بِعَجْزِهِم وَ﴿قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ﴾[1].

وَسَأَلُوا يُوْسُفَ عليه السلام الذِي كَانَ فِي السِّجْنِ وَقَالُوا لَهُ : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2]، وَعَلَى الخَبِيرْ وَقَعُوا ، وَقَعُوا عَلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهِ وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ)، اجْتَبَاهُ رَبُّهُ وعَلَّمَهُ مِنْ تَأْوِيْلِ الأَحَادِيْثِ وَأَتَمّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِ يَعْقُوْبَ[3] عليه السلام كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْهِ ﴿مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾[4] ، فَأَجَابَهُم فَوْرًا ، وَلَمْ يُرَاجِعْ كِتَابًا وَلَمْ يَقُلْ لَهُمُ : أَمْهِلُوْنِي ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾[5]، وَمَا أَخْبَرَهُم مِنْ عِنْدِهِ وَلاَ بِتَعْبِيرِهِ وَلاَ بِتَأْوِيلِهِ بَلْ أَخْبَرَهُم بِمَا أَخْبَرَهُ بِهِ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذِي علم بما كان قبل أن يكون[6]

ثَلَاثَةُ ابْتِلَاءَاتٍ :

فِي الجُبِّ ، وَفِي بَيْتِ العَزِيْزِ، وفِي السِّجْنِ.

فِي الجُبِّ :

قَالَ تَعَالَى :﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[7]، بَعْدَ أَنْ قَرَّرَ إِخْوَةُ يُوْسُفَ إِبْعَادَهُ عَنْ أَبِيْهِ حَتَّى يَخْلُوَ لَهُمْ وَجْهُ أَبِيْهِم، فَزَيَّنَ الشَّيْطَانُ لِبَعْضِهِم قَتْلَ أَخِيْهِم فَقَالُوا ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ﴾[8]، فَأَخَذَ اللهُ عَلَى أَيْدِيهِم وَحَفِظَهُ مِنْهُم:﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن

(١) سورة يوسف، الآية : ٤٤.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٤٦ ، ومجمع البيان، ٥ / ٣١٧-٣١٨.
(٣) ينظر ف في سورة سورة يوسف، الآية ٦،٤ ومجمع البيان، ٥ / ٢٧٧-٢٨٠.
(٤) سورة يوسف، الآية : ٦ ، ومجمع البيان، ٥ / ٢٨٠.
(٥) سورة يوسف، الآية : ٤٧، والنبوة ، ١٢١.
(٦) مفاتيح الجنان، ٨٤ وضياء الصالحين ، ٢٦٩
(٧) سورة يوسف، الآية : ١٠.
(٨) سورة يوسف، الآية : ٤٤.

كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[1]، وَتَوَسَّلُوا لِأَبِيْهِم أَنْ يُرْسِلَهُ مَعَهُم، ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾[2]، فَامْتَنَعَ أَبُوْهُمُ الذِي لَا يُطِيْقُ فِرَاقَ وَلَدِهِ وَلَا غِيَابَهُ عَنْ عَيْنِهِ.

لا يطيق فراق ولده

﴿ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾[3].

وَاللامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ هِيَ اللامُ التِي يُتَلَقَّى بِهَا القَسَمُ، وَجُمْلَةُ: ﴿إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾ جَوَابُ القَسَمِ، وَجَوَابُ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ﴾ مَحْذُوْفٌ التقدير: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ﴾ عَظُمَتْ فِتْنَتُهُم وَبَلاؤُهُم، وَكَبُرَ مَا قَصَدُوا إِلَيْهِ، وَقَوْلُ أَبِيْهِم عليه السلام: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي﴾ أَيْ: يَغُمُّنِي ﴿أَن تَذْهَبُواْ بِهِ﴾ يَعْنِي وَتَغِيْبُوا عَنِّي، وَقِيْلَ يَحْزُنُنِي مُفَارَقَتُه إِيَّايَ ﴿وَأَخَافُ﴾ عَلَيْهِ إِذَا ذَهَبْتُمْ بِهِ إِلَى الصَّحْرَاءِ﴿أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ فَجُمْلَةُ ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ حَالٌ أَيْ: فِي حَالِ كَوْنِكِم سَاهِيْنَ عَنْهُ مَشْغُوْلِيْنَ فِي بَعْضِ أَشْغَالِكُم، أَوْ لَاهِيْنَ عَنْهُ، قَالُوا وَكَانَتْ أَرْضُهُم مَذْأَبَةً، تَكْثُرُ فِيْهَا الذِّئابُ الضَّارِيَةُ، وَقِيْلَ إِنَّ يَعْقُوْبَ عليه السلام رَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ وَلَدَهُ يُوْسُفَ عليه السلام قَدْ شَدَّ عَلَيْهِ عَشَرَةُ ذِئَابٍ لِتَفْتَرِسَهُ، وَإِذَا بِذِئبٍ مِنْهَا يُحَامِي عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا الأَرْضُ انْشَقَّت فَدَخَلَ فِيْهَا وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ[4]، وَمِنْ ثَمَّ قَالُوا: إِنَّ أَبَاهُم لَقَّنَهُم العُذْرَ فَلَمَّا عَادُوا إِلَى أَهْلِهِم

﴿ وَجَاءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾[5] بِدُمُوْعِ التَّمَاسِيْحِ ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠.
(٢) سورة يوسف، من الآية ١١ الى ١٢.
(٣) سورة يوسف، الآية ١٣-١٥.
(٤) مجمع البيان، ٥ / ٢٨٨-٢٨٩.
(٥) سورة يوسف، الآية: ١٦.

وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[1] ، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :لَا تُلَقِنُوا الكَذِبَ فَيَكْذِبُوا فَإِنَّ بَنِي يَعْقُوْبَ لَمْ يَعْرِفُوا أَنَّ الذِّئْبَ يَأْكُلُ الإِنْسَانَ حَتَّى لَقَّنَهُم أَبُوْهُم[2]، وَهَذَا دَلِيْل عَلَى أَنَّ الخَصْمَ يَنْبَغِي أَلاَّ يُلَقَّنَ حُجَّةً ، وَقِيْلَ أَنَّهُ خَافَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلُوْهُ فَكَنَّى عَنْهُم بِالذِّئَابِ !

أَخَذُوْهُ مِنْ أَبِيْهِ مُكَرَّمًا ، وَلَمَّا خَرَجُوا بَهَ إِلَى الصَّحْرَاءَ انْقَلَبُوا عَلَيْهِ وَانْهَالُوا عَلَيْهَ ضَرْبًا، وَهُوَ يَسْتَغِيْثُ بِهِم وَاحِدًا وَاحِدًا فَلَا يَنْصُرُهُ أَحَدٌ مِنْهُم ، وَقِيْلَ دَافَعَ عَنْهُ لَاوَي أَوْ غَيْرُهُ وَرَاحَ يُنَادِي: وَا أَبَتَاهُ فَهَمُّوا بِقَتْلِهِ لَوْلَا عِنَايَةُ اللهِ تَعَالَى فَكَأَنَّمَا نُزِعَتْ مِنْ قُلُوْبِهِمُ الرَّحْمَةُ ، وَانْطَلَقُوا بَهَ إِلَى البِئْرِ وَجَعَلُوا يُدْلُونَهُ فِي البِئْرِ ثُمَّ نَزَعُوا عَنْهُ قَمِيْصَهُ ، فَقَالَ لَهُمُ : لَا تَفْعَلُوا دَعُوهُ أَتَوَارَى بَهَ ![3]، وَهُم يَقُولُوْنَ لَه ادْعُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالكَوَاكِبَ الأَحَدَ عَشَرَ يُؤْنِسُونَكَ ، وَأَدْلَوْهُ فِي البِئْرِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ نَصْفَهَا قَطَعُوا الحَبْلَ بِهِ ظنًا مِنْهُم أَنَّهُ سَيَمُوْتُ وَكَانَ فِي البِئْرِ مَاءٌ فَسَقَطَ فِيْهِ ثُمَّ آوَى إِلَى صَخْرَةٍ فَقَامَ عَلَيْهَا، وَكَان أَحَدُ إِخْوَتِهِ يَأْتِيْهِ بِالطَّعَامِ، وَقِيْلَ : إِنَّ الجُبَّ أَضَاءَ لَهُ وَعَذُبَ مَاؤُهُ فَأَغْنَاهُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَقِيْلَ : كَانَ المَاءُ كَدِرًا فَصَفَا وَعَذُبَ، وَوَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكًا يُؤْنِسُهُ وَيَحْرُسُهُ وَيُطْعِمُهُ ، وَقِيْلَ : هُوَ جَبْرَئِيْلُ وَلَوْلَا عِنَايَةُ اللهِ لَمَا تَحَمَّلَ هَذِهِ الوَحْشَةَ.

وَقِيْلَ : إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمَرَ صَخْرَةً مِنْ قَعْرِ البِئْرِ فَارْتَفَعَتْ وَوَقَفَ عَلَيْهَا يُوْسُفُ[4] عليه السلام ، وَهُوَ عُرْيَان، وَكَانَ إِبْرَاهِيْمُ الخَلِيْلُ عليه السلام حِيْنَ أَلْقَاهُ النَّمْرُوْدَ فِي النَّارِ جَرَّدَهُ مِنْ مَلَابِسِهِ وَقَذَفَهُ فِي االنَّارِ عُرْيَانًا فأتاهُ جَبْرَئِيْلُ بِقَمِيْصٍ مِنْ حَرِيْرِ الجَنَّةَ فَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ القَمِيْصُ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَ فَوَرِثَهُ إِسْحَاقُ فَلَمَّا مَاتَ إِسْحَاقُ وَرِثَهُ يَعْقُوْبُ ، فَلَمَّا شَبَّ يُوْسُفُ عليه السلام جَعَلَ يَعْقُوْبُ ذَلِكَ القَمِيْصَ فِي أُسْطُوَانَةٍ مِمَّا تُحْفَظُ فِيْهَا الأَشْيَاءُ الثَّمِيْنَةُ وَعَلَّقَهُ فِي عُنُقِهِ لَا يُفَارِقُه أَبَدًا، رَوَى ذَلِكَ المُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ عَنِ الإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام ، قَالَ : وَهُوَ

(١) سورة يوسف، الآية : ١٧.
(٢) مجمع البيان ، ٥ / ٢٨٩
(٣) النبوة للشيخ الصدوق،١٢٧-١٢٨.
(٤) مجمع البيان ، ٥ / ٢٨٩

القَمِيْصُ الذِي وَجَدَ يَعْقُوبُ رِيْحَه لَمَّا﴿ فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾[1] مِنْ مِصْرَ وَهُوَ فِي فَلَسْطِيْنَ![2]، فَقَالَ: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُون﴾.

فِي كِتَابِ النُّبُوَّةِ عَنِ الحَسَنِ بْنِ مَحْبُوْبٍ ،عَنِ الحَسَنِ بْنِ عُمَارَةَ ،عَنْ مُسْمِعٍ أَبِي سَيَّارَةَ ،عَنِ الإِمَامِ الصَّادِقِ ﷺ لَمَّا أَلْقَى إِخْوَةُ يُوْسُفَ يُوْسُفَ فِي الجُبِّ نَزَلَ عَلَيْهِ جَبْرَئِيْلُ ﷺ فَقَالَ لَهُ:

يا غلام ! مَنْ طَرَحَكَ هُنَا؟

فَقَالَ ﷺ: إِخْوَتِي، حَسَدُوْنِي لِمَنْزِلَتِي مِنْ أَبِي ، وَلِذَلِكَ طَرَحُوْنِي فِي الجُبِّ .

فَقَال لَهُ: أَتُحِبُّ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ هَذَا الجُبِّ

قَالَ : ذَلِكَ إِلَى إِلَهِ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ.

فَقَالَ لَهُ جَبْرَئِيْلُ: فَإِنَّ إِلَهَ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ يَقُوْلُ لَكَ قُلْ:

" أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ بَدِيْعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ! أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَجْعَلَ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجًا وَمَخْرَجًا ، وَتَرْزُقَنِي مِنْ حَيْثُ أَحْتَسِبُ وَمِنْ حَيْثُ لَا أَحْتَسِبُ " فَجَعَلَ اللهُ لَهُ يَوْمَئِذٍ مِنَ الجُبِّ فَرَجًا وَمَخْرَجًا ، وَمِنْ كَيْدِ المَرْأَةِ مَخْرَجًا، وَآتَاهُ مُلْكَ مِصْرَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبْ، وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيْمَ فِي سَنَدِهِ أَنَّ يوسفَ ﷺ قَالَ فِي الجُبِّ: يَا إِلَهَ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ ! إِرْحَمْ ضَعْفِي وَقِلَّةَ حِيْلَتِي وَصَغَرِي [3]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴾ يَعْنِي يُوْسُفَ ﷺ قَالُوا أَعْطَاهُ النُّبُوَّةَ وَبَشَّرَهُ بِالنَّجَاةِ وَالمُلْكِ، وَهُوَ فِي الجُبِّ[4]، لِيُؤْنِسَ وَحْشَتَهُ وَيُغَيِّرَ جَوَّ الحُزْنِ وَالخَوْفِ الذِي اعْتَرَاهُ إِلَى الأُنْسِ وَالفَرَحِ وَالاطْمِئْنَانِ.

﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ أَيْ لَيُخْبِرَنَّهُم بِقَبِيْحِ فِعْلِهِم الذِي فَعَلُوْهُ بَعْدَ هَذَا الوَقْتِ

(١) سورة يوسف، الآية : ٩٤.
(٢) مجمع البيان، ٥ / ٢٨٩ .
(٣) ينظر في، النبوة، للشيخ الصدوق أبي جعفر مُحَمَّدِ بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ١١٥ ، ومجمع البيان، ٥ / ٢٩٠ ، والنبوة والأنبياء في ضوء القرآن لأبي الحسن الندوي ، ١١٦-١١٨.
(٤) النبوة، للشيخ الصدوق أبي جعفر مُحَمَّدِ بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ١١٥ ، ومجمع البيان، ٥ / ٢٩٠.

مُتَوَسِّلِيْنَ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُمُ المِيْرَةَ وَيُفْرِجَ عَنْ أَخِيْهِم بَنْيَامِيْنَ الذِي عَطَّلَهُ عَنْدَهُ يريد ماذخره في آخر السورة:

﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾﴿ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ أَنَّكَ أَخُوْهمُ يُوْسَفُ ، وَكَانَ الوَحْيُ إِلَيْهِ كَالوَحْيِّ إِلَى سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ فَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ وَهْو فِي الجُبِّ وَكَانَ فِيْمَا أُوْحِيَ إِلَيْهِ : أَنِ اكْتُمْ حَالَكَ ، وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ فَإِنَّكَ سَتُخْبِرُ إِخْوَتَكَ فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ ، وَقِيْلَ: بِأَنَّهُم لَا يَشْعُرُوْنَ بِأَنَّهُ أُوْحِيَ إِلَيْهِ ، وَقِيْلَ : مَعْنَى ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ لَتُجَازِيَنَّهُم عَلَى فِعْلِهِم هَذَا بِكَ ، تَقُوْلُ العَرَبُ لِلرَّجُلِ يَتَوَعَّدُوْنَهُ بِمُجَازَاتِهِ عَلَى سُوْءِ فِعْلِهِ : لَأُنَبِّئَنَّكَ وَلَأُعَرِّفَنَّكَ ، أَيْ : لَأُجَازِيَنَّكَ ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (ت٦٨ هـ) : أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّهُم لَمَّا دَخَلُو مِصْرَ، ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ ، فَأَخَذَ يُوْسُفُ الصَّاعَ، وَنَقَرَهُ بِيَدِهِ لِيُصَوِّتَ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الصَّاعَ لَيُخْبِرَنِّي أَنَّهُ كَانَ لَكُمْ أَخٌ مِنْ أَبِيْكُم أَلْقَيْتُمُوْهُ فِي الجُبِّ، وَبِعْتُمُوْهُ ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ وَكُنْتُم ﴿فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ فهذا معنى قوله[1]: ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾

في بيت عزيز مصر :

ومِنْ فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ أَنْ قَيَّضَ سَيَّارَةً لانْتِشَالِهِ مِنَ البِئْرِ. قَالَ تَعَالَى : ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾[2]، وَبِيْعَ يُوسُفُ عليه السلام فِي سُوْقِ النَّخَّاسِيْنَ فِي مِصْرَ فاشتراه عَزِيزُ مِصْرَ الذِي لَمْ يُنْجِبْ وَقَدَّمَهُ هَدِيَّةً لِزَوْجَتِهِ زُلَيْخَا، ثم أعطاه مُلْكَ مِصْرَ[3].﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[4]، وَلِوُجُوْدِهِ فِي قَصْرِ

(١) مجمع البيان ، ٥ / ٢٩٠.
(٢) سورة يوسف، من الآية ١٩الى ٢٠ .
(٣) النبوة للشيخ الصدوق، ١١٥، ومجمع البيان ، ٥/ ٢٩٥ ٢٩٦.
(٤) سورة يوسف، الآية : ٢١.

العَزِيزِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَمَعَ زَوْجَتِهِ زُلَيْخَا رَاحَتْ زُلَيْخَا لَا تُفَارِقُهُ بِنَظَرِهَا المُرِيبِ ، فَهِيَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظْرَةَ شَوْقٍ وَغَرَامٍ، وَيَعِيْشُ فِي وَعْيِهَا دَائِمًا أَبَدًا بِجُنُوْنٍ ، فَقَدْ شَغَفَهَا حُبًّا بِجَمَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَسُلُوْكِهِ وَرَاحَتْ تُطَارِدُهُ هَيَامًا بِهِ حَتَّى حَوَّلَتِ القَصْرَ الفَسِيْحَ عَلَيْهِ سِجْنًا ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (١)، ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ ﴾(٢) ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (٣)؛ لِأَنَّ عَذَابَ السِّجْنِ يُهُون وَعَذَابُ اللهِ بِالنَّارِ لاَ يُطَاقُ، ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (٤).

إِنَّهُ ابْتِلاء عُظِيْمٌ قَدْ يُؤَدِي بِحَيَاةِ نَبِيِّ اللهِ يُوْسُفَ ﷺ ، وَيَطِيْحُ بِرَأْسِهِ مِنْ قِبَلِ حَاكِمٍ قَوِيٍّ مَبْسُوْطِ اليَدِ وَيُوسُفُ أَحَدُ مَمَالِيْكِهِ إِنْ لَمْ يَتَرَيَّثْ عَزِيْزُ مِصْرَ وَيَسْتَعْمِلْ الحِكْمَةَ وَيُحَكِّمْ عَقْلَهُ، وَمَنْ يُسَيْطِرُ عَلَى نَفْسِه فِي مِثْلِ هَذَا المَوْقِفِ! وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذِي نَصَرَ عَبْدَهُ وَرَسُوْلَهُ يُوْسُفَ ﷺ أَلْهَم عَزِيْزَ مِصْرَ الحِكْمَةَ وَالصَّوَابَ ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ (٥) فَحَكَمَ العَزِيْزُ بِبَرَاءَتِهِ وَإِدَانَةِ زَوْجِهِ زُلَيْخَا بِالدَّلِيْلِ القَاطِعِ وَالبُرْهَانِ النَّاصِعِ، بِنُطِقِ الطِّفْلِ الرَّضِيْعِ ﴿ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ بِشَهَادَةِ الحَقِّ، يُعَزِّزُ ذَلِكَ سُلُوْكُهَا المُرِيْبُ، وَسُلُوْكُ يُوْسُفَ النَّبَوِيُّ، وَأَنْقَذَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَبْدَهُ وَرَسُوْلَهُ يُوْسُفَ مِنْ هَذَا البَلَاءِ الصَّعْبِ العَظِيْمِ، وَأَخْرَجَهُ مِنْهُ كَمَا أَخْرَجَهُ مِنَ البِئْرِ.

(١) سورة يوسف،من الآية ٢٢الى ٢٣.
(٢) سورة يوسف، الآية ٣٢.
(٣) سورة يوسف، من الآية ٣٢ الى٣٣.
(٤) سورة يوسف، الآية : ٢٦.
(٥) سورة يوسف،من الآية ٢٨ الى ٢٩.

فِي السِّجْنِ :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[1]، كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُسْتَمِرًّا بِجَانِبِ عَبْدِهِ وَرَسُوْلِهِ الوَرِعِ يُوْسُفَ عليه السلام ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ سِجْنِ قَصْرِ زُلَيْخَا وَمُضَايَقَاتِهَا لَهُ لَيْلَ نَهَارٍ إِلَى حُرِّيَّةِ السِّجْنِ مُسْتَجِيْبًا جَلَّ شَأْنُهُ دُعَاءَهُ : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ ، أَيْ : إِنَّ تَوْطِيْنِي نَفْسِي عَلَى السِّجْنِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ تَوْطِيْنِهَا عَلَى الخِيَانَةِ ، وَارْتِكَابِ الفَاحِشَةِ ، فَرَمَوْهُ فِي السِّجْنِ ؛ لِأَنَّ مَا فَعَلَتْهُ زُلَيْخَا بِهِ شَاعَ وَانْتَشَرَ بَيْنَ النَّاسِ انْتِشَارَ النَّارِ فِي الهَشِيْمِ عَنْ طَرِيْقِ مَنْ كَانُوا فِي القَصْرِ وَهُمْ كُثْرٌ، وَلَمْ يَعُدْ سِرًّا بَلْ صَارَ حَدِيْثَ السَّاعَةِ تَلُوْكُهُ الأَلْسُنُ ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[2].

وَفِي أَجْوَاءِ ذَلِكَ السِّجْنِ الذِي اعْتَادَ نُزَلَاؤُهُ البُؤَسَاءُ عَلَى حَيَاتِهِ الصَّعْبَةِ وَجَدَ يُوْسُفُ الحُرِّيَّةَ مِنْ زُلَيْخَا ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3] ، وَهَبَطَ عَلَيْهِ الأَمِيْنُ جَبْرَئِيْلُ فِي السِّجْنِ ، وَعَلَّمَهُ، عَنِ اللهِ تَعَالَى، تَأْوِيْلَ الأَحْلَامِ[4]، فَمَا كَانَ يُخْبِرُ النَّاسَ بِتَأْوِيْلِ الأَحْلَامِ مِنْ عِنْدِهِ، كَمَا يَفْعَلُ غَيْرُهُ ، بَلْ يُخْبِرُهُم بِمَا عَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَى.حيث عَلَّمَهُ الأَمِيْنُ جَبْرَئِيْلُ فِي السِّجْنِ، عَنِ اللهِ تَعَالَى، تَأْوِيْلَ الأَحْلَامِ

وَحَثَّ يُوسُفُ عليه السلام نُزَلَاءَ السِّجْنِ عَلَى تَنْظِيْفِ السِّجْنِ وِزِرِعَهُ بِالوُرُوْدِ ، وَكَانَ يُسَاعِدُ الضُّعَفَاءَ مِنْهُمْ وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ مَكَانُهُ مِنْهُمْ وَسَّعَ لَهُ ، وَمَنِ احْتَاجَ جَمَعَ لَهُ وَمَنْ مَرِضَ قَامَ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعِيْنُ المَظْلُوْمَ وَيَنْصُرُ الضَّعِيْفَ، وَيَعُوْدُ العَلِيْلَ[5] فَأَحَبُّوْهُ وَصَدَّقُوْهُ وَآمَنُوا بِاللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ، وَآمَنُوا بِعَقِيْدَةِ التَّوْحِيْدِ ، وَبِنُبُوَّتِهِ التِي دَعَاهُمْ إِلَيها ، وَفَتَحَ فِي السِّجْنِ مَدْرَسَةً

(١) سورة يوسف، الآية : ٣٥.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٣٠.
(٣) سورة يوسف، الآية : ٣٦.
(٤) النبوة للشيخ الصدوق، ١١٥.
(٥) مجمع البيان، ٥ / ٣١١.

يُوْسُفِيَّةً ، ونَجَا مِنْ ضُغُوْطِ زُلِيْخَا عَلَيْهِ، وَسَطْوَتِهَا، وَهُوَ فِي سِجْنِهِ، وَقَالَ جَبْرَئِيْلُ لِيُوْسُفَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهَ وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ): إِنَّ اللهَ ابْتَلَاكَ وَابْتَلَى أَبَاكَ، وَإِنَّهُ مُنْجِيْكَ مِنْ هَذَا السِّجْنِ فَاسْأَلِ اللهَ بِمُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذَا السِّجْنِ.

فَقَالَ يُوْسُفُ ﷺ : اللّٰهُمَّ ! إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا عَجَّلْتَ فَرَجِي وَأَرَحْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيْهِ ، فَقَال جَبْرَئِيْلُ ﷺ أَبْشِرْ أَيُّهَا الصِّدِّيْقُ ! فَإِنَّ اللهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ بِالبِشَارَةِ ، فَإِنَّهُ يُخْرِجُكَ مِنَ السِّجْنِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَيُمَلِّكُكَ مِصْرَ وَأَهْلَهَا فَتَخْدِمُكَ أَشْرَافُهَا، وَيَجْمَعُ إِلَيْكَ إِخْوَتَكَ وَأَبَاكَ ، فَابْشِرْ أَيُّهَا الصِّدِّيْقُ إِنَّكَ صَفِيُّ اللهِ وَابْنُ صَفِيِّهِ، وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةُ رَأَى مَلِكُ مصرَ رُؤْيَا أَفْزَعَتْهُ فَقَصَّهَا عَلَى أَعْوَانِهِ وَالْمُعَبِّرِيْنَ فَلَمْ يَدْرُوا مَا تَأْوِيْلُهَا؟ فَتَذَكَّرَ الفَتَى الذِي نَجَا مِنَ السِّجْنِ يُوْسُفَ ﷺ ، فَقَالَ لَلمَلِكِ: أَرْسِلْنِي أَيُّهَا المَلِكُ إِلَى السِّجْنِ فَإِنَّ فِيْهِ رَجُلاً لَمْ يُرَ مِثْلُهُ حِلْمًا وَعِلْمًا وَصَلَاحًا وَتَفْسِيْرًا، وَكُنْتُ أَنَا وَصَاحِبِي فُلَانٌ قَدْ غَضِبَ عَلَيْنَا أَبُوْكَ المَلِكُ الرَّاحِلُ فَرَمَانَا فِي السِّجْنِ وَكُلٌّ مِنَّا رَأَى رُؤْيَا فَقَصَصْنَاهَا عَلَيْهِ فَأَوَّلَهَا لَنَا فَكَانَتْ كَمَا ذَكَرَ فَصَاحِبِي فُلَانٌ صُلِبَ وَ أَنَا نَجَوْتُ، كَمَا أَخْبَرَنَا تَمَامًا، وَفِي الوَقْتِ الذِي حَدَّدَهُ لَنَا.

فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: انْطَلِقْ إِلَيْهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ السِّجْنَ ، وَقَال لَهُ:

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ الآيات[1] ، وَعَادَ الذِي نَجَا بِالجَوَابِ مُسْرِعًا ، فَلَمَّا سَمِعَ المَلِكُ وَمَنْ مَعَهُ الجَوَابَ عَجِبُوا ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾[2]، وَلَمَا بَلَغَ يُوْسُفَ رِسَالَةُ المَلِكِ قَالَ: لَقَدْ كَانَ المَلِكُ يَعْلَمُ بِبَرَاءَتِي مِمَّا نُسِبَ لِي وَحُبِسْتُ سِنِيْنَ بِلَا ذَنْبٍ !

فَلَمَّا سَمِعَ المَلِكُ تَظَلُّمَهُ طَلَبَ النُّسْوَةَ؛ وَ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[3] ، فَحَكَمَ المَلِكُ بِبَرَاءَتِهِ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ وَأَدَانَهُنَّ وَطَلَبَ

(١) سورة يوسف، من الآية ٤٦ الى ٤٩.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٥٤.
(٣) سورة يوسف، الآية : ٥١.

إِحْضَارَهُ فَوْرًا، مُعَزَّزًا مُكَرَّمًا فَأَحْضَرُوهُ ، كَذَلِكَ ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[1]، وَأُعْجِبَ المَلِكُ بِكَمَالِهِ وَعَقْلِهِ، وَقَالَ لَهُ المَلِكُ اقْصُصْ عَلَيَّ رُؤْيَايَ أُرِيْدُ أَنْ أَسْمَعَهَا مِنْكَ فَقَصَّهَا يُوْسُفُ عَلَيْهِ كَمَا رَآهَا وَفَسَّرَهَا لَهُ[2].

قَالَ المَلِكُ صَدَقْتَ فَمَنْ لِي بِجَمْعِ ذَلِكَ الزَّرْعِ فَمَنْ يَجْمَعُهُ وَيَحْفَظُهُ؟

قَالَ لَهُ يُوْسُفُ عليه السلام:قَدْ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيَّ أَنِّي مُدَبِّرُهُ وَالقَيِّمُ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ السِّنِيْنِ.

فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: إِذًا دُوْنَكَ خَاتَمِي وَعَرْشِي وَأَنْتَ المَلِكُ المُطْلَقُ[3].

هَكَذَا انْتَهَتْ هَذِهِ الابْتِلَاءاتُ الثَّلاثَةُ بِالإِعْجَازِ الإِلَهِي ، وَالإِنْعَامِ عَلَى نَبِيِّ اللهِ يُوْسُفُ الصِّدِّيْقِ عليه السلام .

ثلاثة اصناف من الساجدين: كواكب ، وشمس ، وقمر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[4] إِنَّ الصَّلاَةَ وَالرُّكُوْعَ وَالسُّجُوْدَ لاَ تَكُوْنُ إِلاَّ لله تَعَالَى ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الفَرْدُ الصَّمَدُ الذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ، عَلَى هَذِهِ العَقِيْدَةِ وُلِدْنَا بِالفِطْرَةِ ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى صَبَاحَ مَسَاء ، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[5] ، فَالسُّجُوْدُ الذِي حَصَلَ كَانَ شُكْرًا لله تَعَالَى عَلَى نَعْمَائِهِ بِجَمْعِ شَمْلِ يَعْقُوْبَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَزْوَاجِهِ بِوَلَدِهِ يُوْسُفَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهِ وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) بَعْدَ غِيَابِهِ عَنْهُمْ زَمَنًا طَوِيْلًا ، فَجَاءَ بِهِمْ مِنَ البَدْوِ وَأَعَادَ لِيَعْقُوْبَ بَصَرَهُ وَشَبَابَهُ وَقُوَّتَهُ بَعْدَ العَمَى وَالهَرَمِ وَالضَّعْفِ، وَأَخْرَجَ يُوْسُفَ مِنَ الجُبِّ وَمِنَ السِّجْنِ وَمَلَّكَهُ مِصْرَ وَأَهْلَهَا يَخْدِمُهُ أَشْرَافُهَا، وَلَمَّا اجْتَمَعُوا عِنْدَهُ شَكَرَ اللهَ تَعَالَى﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَأَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي

(١) سورة يوسف، الآية : ٥٤.
(٢) مجمع البيان ، ٥ / ٣٢٣.
(٣) النبوة للشيخ الصدوق، ١٢١ .
(٤) سورة يوسف، الآية : ٤.
(٥) سورة الإخلاص، من الآية ١ الى ٤.

حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[1].

وَالذِيْنَ سَجَدُوا شُكْرًا لله: أَبُوْهُ يَعْقُوْبُ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهِ وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ)، وَكَنَّى عَنْهُ بِالقَمَرِ وَزَوْجُهُ خَالَةِ يُوْسُفَ ﷺ وَكَنَّى عَنْهَا بِالشَّمْسِ ؛ لِأَنَّ أُمَّهُ قَدْ مَاتَتْ ، وَإِخْوَتُهُ الأَحَدَ عَشَرَ وَكَنَّى عَنْهُمْ بِأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[2]، وَذَلِكَ مِنْ بَدِيْعِ التَّعْبِيْرِ القُرْآنِي ، وَقَدْ تَحَقَّقَتْ تِلْكَ الرُّؤْيَا.

ثلاثُ أَنِعَم: اجْتِبَاءٌ ، وَتَعْلِيْمٌ ، وَإِتْمَامُ نِعْمَةٍ.

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[3] .

أَسْبَغَ اللهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُوْلِهِ وَصَفِيِّهِ وَابْنِ صَفِيِّهِ يُوْسُفِ الصِّدِّيْقِ بْنِ يَعْقُوْبَ إِسْرَائِيْلِ اللهِ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهِ وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ)، ثَلَاثَ أَنْعُمٍ ذَكَرَهَا فِي سُوْرَةِ يُوْسُفَ ؛هِيَ:

الاجْتِبَاءُ . أَيْ: الاخْتِيَارُ، ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ فَقَدْ اخْتَارَهُ اللهُ تَعَال نَبِيًّا رَسُوْلًا فَحَبَاهُ تَعَالَى رِسَالَتَهُ ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[4]، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ يَمُنُّ بِهَا اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ ﴿عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ ﴾[5] تَفَضُّلاً مِنْ عِنْدِهِ ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[6]. وَلِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ كُلُّ مَا لِلْأَنْبِيَاءِ مِنَ الفَضَائِلِ وَزِيَادَةً فَهُوَ سَيِّدُ الرُّسُلِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ.

(١) سورة يوسف، الآية : ١٠٠.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٤.
(٣) سورة يوسف، الآية : ٦.
(٤) سورة الأنعام، الآية : ١٢٤.
(٥) سورة النمل ، الآية : ٥٩.
(٦) سورة النور، الآية : ٣٨.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ االزُّهْرِيُّ (ت٢٣٠هـ) بِسَنَدِهِ : قال رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : " أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ" وَقَالَ ﷺ : " إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ وُلْدِ إِبْرَاهِيْمَ إِسْمَاعِيْلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيْلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ" ، وَقَالَ ﷺ : "ثُمَّ اخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ" (١).

وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ أَيْضًا : أَخْبَرَنَا أَبُو ضَمْرَةَ المَدَنِيُّ أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ اللَّيْثِي أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ[الصَّادِقُ] عَنْ أَبِيْهِ مُحَمَّدٍ (البَاقِرِ) عَنْ أَبِيْهِ عَلِيٍّ (زَيْنِ العَابِدِيْنَ) عَنْ أَبِيْهِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " قَسَمَ اللهُ الأَرْضَ نِصْفَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمَا ، ثُمَّ قَسَّمَ النِّصْفَ عَلَى ثَلَاثَةٍ فَكُنْتُ فِي خَيْرِ ثُلُثٍ مِنْهَا ثُمَّ اخْتَارَ العَرَبَ مِنَ النَّاسِ ، ثُمَّ اخْتَارَ قُرَيْشًا مِنَ العَرَبِ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَنِي مِنْ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ"(٢).

وَمَنْزِلَةُ النُّبُوَةِ فِي غَايَةِ الرِّفعة ، وَيُوسُفُ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلَهَ وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) مِنْ بَيْتٍ نَبَوِيٍّ فَهُوَ نَبِيٌّ ابْنُ نَبِيٍّ ابْنِ نَبِيٍّ ابْنِ نَبِيٍّ يُوْسُفَ بْنِ يَعْقُوْبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلِ ، وَكُلُّهُمْ أَنْبِيَاء وَهَذَا مِصْدَاقُ حَدِيْثِ النَّبِيِّ عَنْ يُوسُفَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) ؛ قَالَ ﷺ : " الكَرِيْمُ ابْنُ الكَرِيْمِ ابْنِ الكَرِيْمِ ابْنِ الكَرِيْمِ ، يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوْبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إبراهيمَ"(٣). حَتَّى صَارَ بَيْتُهُم مَضْرِبَ المَثَلِ فِي ذَلِكَ.

فَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عَلِي اليَعْقُوبِي(ت١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.) يُلْقِي إِحْدَى مُحَاضَرَاتِهِ فِي أَحَدِ مَجَالِسِ الحِلَّةِ فَلَمَّا انْتَهَى مِنْهَا قَالَ لَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ المَجِيْدِ العَطَّارُ الحِلِّيُّ (١٢٨٢-١٣٤٢هـ) وَكَانَ أَحَدَ مَنِ اسْتَمَعَ مُحَاضَرَتَهُ:

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد،١/ ٤، والتاريخ الكبير،٤، والتاريخ الصغير، ١٨ ، وكلاهما للبخاري، ودلائل النبوة للبيهقي ، ١٦٥، والبداية والنهاية، ٣/ ٣٦٣، والسيرة النبوية لابن كثير ، ١/ ١٩١، والسيرة النبوية للذهبي ، ٤، وفضل أهل البيت وحقوقهم لابن تيمية ، ٤٤، وأول حماة الإسلام ، ٣٦.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد،١/ ٤، والسيرة النبوية للذهبي، ٤، وكنز العمال للمتقي الهندي ، ١١/ ٤٢٨ الحديث، ٣٢٠١١ و ١١/ ٤٥٠ ٤٥١ الأحاديث ، ٣٢١١٩-٣٢١٢٣ .

(٣) مجمع البيان ، ٥ / ٢٧٩.

خَلَتِ المَنَابِرُ مِنْ أَبِيكَ وَأَوْحَشَتْ ... وَاليومَ مِنْكَ زَهَتْ بِخَيرِ خَطِيبِ
إِرْثُ الخَطَابَةِ آلَ يعقُوبٍ بِكُمْ ... إِرْثُ النُّبُوَةِ فِي بَنِي يَعقُوبِ[1]

والتعليم :

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾

فَقَدْ عَلَّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ، حَيْثُ أَخْبَرَهُ أَبُوْهُ يَعْقُوْبُ بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ : ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ وَهَبَطَ عَلَيْهِ الأَمِيْنُ جَبْرَئِيْلُ فِي السِّجْنِ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى وَعَلَّمَهُ ، عَنِ اللهِ تَعَالَى، تَأْوِيْلَ الأَحْلَام[2]، وَكَانَ يُسَدِّدُهُ ، بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى .

وَأَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِعِلْمٍ جَمٍّ فَفَتَحَ فِي السَّجْنِ مَدْرَسَةً يُوْسُفِيَّةً ، وَعَلَّمَ نُزَلَاءَ السِّجْنِ وَالعَامِلِيْنَ فِيْهِ عِلْمًا كَثِيْرًا فِي مُقَدَّمَتِهِ التَّوْحِيْدُ وَالبَرَاءَةُ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ ، وَكَانَ مَرْجِعَهُم فِي كُلِّ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِم وَمَلْجَأَهُم الذِي يَفْزَعُوْنَ إِلَيْهِ ، فَتَحَوَّلَ السِّجْنُ بِوُجُودِهِ إِلَى مَعْهَدٍ عِلْمِيٍّ طُلَّابُهُ النُّزَلَاءُ وَالعَامِلُوْنَ فِيْهِ، وَصَارُوا جَمِيْعًا سُعَدَاءَ بِوُجُودِهِ بَيْنَهُمْ وُلَا يُطِيْقُوْنَ الحَيَاةَ فِيْهِ مِنْ غَيْرِ وُجُودِهِ مَعَهُم .

وإتمام النعمة :

﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ﴾

وَكَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ رَزَقَ إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلِ عليه السلام وَرَزَقَ إِسْحَاقَ يَعْقُوْبَ عليهما السلام ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾[3]، مِنَ السُّلَالَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ بِإِعْطَائِكَ النُّبُوَّةَ لِأَنَّهَا مُنْتَهَى نَعِيْمِ الدُّنْيَا ، وَقِيْلَ إِنَّ تَمَامَهَا أَنْ يَحْكُمَ بِدَوَامِهَا مَعَ خُلُوصِهَا مِنَ الشَّوَائِبِ التِي تُعَكِّرُهَا فَهَذِهِ النِّعْمَةُ التَّامَّةُ، وَلَا يُطْلَبُ ذَلِكَ إِلَّا مِنَ اللهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ سِوَاهُ، وَقِيْلَ مَعْنَاهُ بِأَنْ يُخْرِجَ إِخْوَتَكَ إِلَيْكَ حَتَّى تُنْعِمَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ إِسَاءَتِهِم إِلَيْكَ[4] ، وَقِيْلَ مِنْ مَعَانِي إِتْمَامِ النِّعْمَةِ إِعْطَاءُ العِلْمِ وَالحِكْمَةِ مَالَمْ

(١) البابليات ، ٣/ ٢، ٧٤، وعيون الأدب، ١٩٦
(٢) النبوة للشيخ الصدوق، ١١٥ .
(٣) سورة هود، الآية : ٧١.
(٤) مجمع البيان ، ٥ / ٢٨٠.

يُعْطَ نَبِيٌّ وَلَا أُمَّةٌ[1] وَالأَوْلَى أَنْ يَجْمَعَ لَهُ كُلَّ ذَلِكَ، فَإِنَّ رَبَّكَ يُعْطِي ﴿عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[2]، وَقَوْلُه تَعَالَى ﴿وَعَلَى ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ أَيْ وَعَلَى إِخْوَتِكَ بِأَنْ يُثَبِّتَهُم عَلَى الإِسْلَامِ، وَ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾[3]، وَيُشَرِّفَهُم بِمَكَانِكَ وَيَجْعَلَ فِيهِمُ النُّبُوَّةَ، كَمَا جَعَلَ الإِمَامَةَ فِي جَدِّهِم إِبْرَاهِيمَ ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[4]، غَيْرَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اسْتَثْنَى الظَّالِمِينَ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ العَظِيْمَةِ، وَهَذَا المَقَامِ العَالِي الرَّفِيْعِ (مَقَامِ الإِمَامَةِ) ﴿قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

وَلَمَّا كَاشَفَ يُوسُفُ الصِّدِّيْقُ عليه السلام إِخْوَتَهُ وذَكَّرَهُم بِمَا فَعَلُوا بِهِ ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾[5].

هَذَا هُوَ مَوْقِفُ الأَنْبِيَاءِ المُتَمَيِّزُ عَنْ سَائِرِ خَلْقِ اللهِ، مَوْقِفُ السَّمَاحِ وَالعَفْوِ عِنْدَ المَقْدِرَةِ، وَكَذَلِكَ كَانَ مَوْقِفُ نَبِيِّنَا سَيِّدِ الرُّسُلِ وَخَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ أَبِي القَاسِمِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

فَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ حُذَيْفَةَ، وَقِيْلَ سُهَيْل، وَقِيْلَ سَهْل بْنِ المُغِيْرَةِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَأَبُو أُمَيَّةَ هُوَ المَعْرُوْفِ بِزَادِ الرَّكْبِ، وَالِدُ أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَهُوَ زَوْجُ عَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَتَزَوَّجَ أَرْبَعًا مِنَ العَوَاتِكِ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيْرَةِ المَخْزُومِيّ، وَأُمُّ عَبْدِ اللهِ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، عَمَّةُ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ مِنْ أَشَدِّ قُرَيْشٍ عَدَاوَةً لِرَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَهُوَ الذِي قَالَ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا

(١) مجمع البيان، ٣ / ٢٢٧.
(٢) سورة هود، الآية: ١١، والآية: ١٠٨
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣، والآية: ١٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢، والآية: ١٢٤.
(٥) سورة يوسف، من الآية ٨٩ الى ٩٢.

تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾[1]، فَقَالَ تَعَالَىٰ لِرَسُوْلِهِ ﷺ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[2].

وَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ اللهِ كَذَلِكَ[3] حَتَّى عَامِ الفَتْحِ، ثُمَّ خَرَجَ وَمَعَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَلَقِيَا رَسُوْلَ الله ﷺ فِي طَرِيْقِهِ لِفَتْحِ مَكَّةَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمَا، فَقَالَتْ أُخْتُهُ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ أُمُّ سَلَمَةَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: لَا تَجْعَلِ ابْنَ عَمِّكَ وَابْنَ عَمَّتِكَ أَشْقَى النَّاسِ بِكَ فَلَمْ يَسْتَجِبْ النَّبِيُّ ﷺ؛ لِمَا حَصَلَ مِنْهُمَا[4] فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ الحَارِثِ: إِئْتِ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، وَقُلْ لَهُ: مَا قَالَ إِخْوَةُ يُوْسُفَ لِيُوْسُفَ عليه السلام، فَفَعَلَ وَقَالَ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾[5].

فَقَالَ ﷺ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[6]، وَقَبِلَ مِنْهُمَا وَقَالَ كُلٌّ مِنْهُمَا: أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُوْلُ اللهِ، وَشَهِدَا مَعَه الفَتْحَ وَحُنَيْنًا فَاسْتُشْهِدَ عَبْدُ اللهِ (رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ) يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَأَبْلَى أَبُوسُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بَلَاءً حَسَنًا فِي الدِّفَاعِ المُسْتَمِيْتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَانَ مِنَ النَّفَرِ المَاسِكِيْنَ بِبَغْلَتِهِ ﷺ وَالرَّسُولُ ﷺ يَتَقَدَّمُ المُسْلِمِيْنَ عِنْدَ اصْطِكَاكِ الأَسِنَّةِ، فِي الزَّحْفِ المُقَدَّسِ، وَسَيْفُ عَلِيٍّ عليه السلام بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ شِهَابُ نَارٍ يَبْعَجُ كُلَّ مَنْ يَقْتَرِبُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ وَاسْتُشْهِدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ المَخْزُومِيّ فِي الطَّائِفِ، (رِضْوَانُ اللهِ عليه)، وَكَانَ قَدْ قَالَ لَهُ هِيْتُ المُخَنَّثُ وَهُمَا عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ: يَا عَبْدَ اللهِ ! إِنْ فَتَحَ اللهُ الطَّائِفَ عَلَيْكُمْ أَدُلُّكَ عَلَى ابْنَةِ غَيْلَانَ فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ[7].

(١) سورة الإسراء، من الآية ٩٠ الى ٩٣، وينظر في تفسير الطَّبري، ١٥/ ٩٠، ومجمع البيان، ٦/ ٢٢٣.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩٣.
(٣) الروض الآنف، ٣/ ١٢٥، وأولُ حماة الإسلام، ٢٠٦.
(٤) السيرة النبوية لابن إسحاق، ٥٢٢.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٩١.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٩٢.
(٧) أسد الغابة، ٦٣٨ الترجمة، ٢٨٢١، والإصابة، بيروت، ٤/ ١٢.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ:" لَايَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكُنَّ "[1]، فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ،قَالَتْ دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ، وَعِنْدَهَا الْمُخَنَّثُ هِيت، وَأَخُوهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَالْمُخَنَّثُ يَقُولُ لِعَبْدِ اللهِ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ ! إِنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَدًا فَعَلَيْكَ بِابْنَةِ غَيْلانَ، فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ.

قَالَتْ: فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِأُمِّ سَلَمَةَ:

" لَا يَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكُنَّ "[2] .

وَلَمَّا دَخَلَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ فَاتِحًا وتَمَكَّنَ من أَهْلِهَا الذين قتلوا ابْنَ عَمِّهِ عُبَيْدَةَ بْنَ الحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ (رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ) يَوْمَ بَدْرٍ وَقَتَلُوا عَمَّهُ الحَمْزَةَ بنَ عَبْدِ الْمُطَلِبِ (رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ) يَوْمَ أُحُدٍ ، وَشَجُوا جَبِيْنَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ الشَّرِيْفَ وَجُحِشَتْ رُكْبَتَاهُ وَكَسَرُوا رُبَاعِيَّتَهُ، وَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ، وَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الْمَعْرَكَةِ وَسَيْفُهُ يَنْضَحُ مِنْ دِمَاءِ الْمُشْرِكِيْنِ، وَفِي مَقَادِيْمِهِ الشَّرِيْفَةِ أَرْبَعٌ وَسِتُّوْنَ جِرَاحَةً قَاتِلَةٌ، فَجَاءَتْهُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِيْنَ ﷺ بِحَصِيْرَةً فَأَحْرَقَتْهَا وَكَمَّدَتْ جِرَاحَهُ .

وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَالْمُشْرِكُوْنَ مُجْتَمِعُوْنِ فِي الْمَسْجِدِ الحَرَامِ : " لَاإِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَه صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ..." إِلَى أَنْ قَالَ ﷺ : " يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ "

قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ كَرِيْمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيْمٍ.

(١) صحيح البخاري، ٤٣٢٤ و ٥٢٣٥ و٥٨٨٧، وصحيح مسلم،٥٦٥٤، ومسند أحمد، ٤٤/ ٩٣، رقم الحديث، ٢٦٤٩٠، وقال المحقق شعيب الإرناؤوط إِسْنَادُهُ صحيح على شرط الشيخين، وينظر في، أسد الغابة، ٦٣٨ الترجمة، ٢٨٢١، وفتح الباري، نشر دار الريان، باب منع دخول المتشبهين بالنساء على المرأة، ح، ٤٩٣٧والإصابة بيروت، ٤/ ١٢، وأول حماة الإسلام ، ٢٠٧.

(٢) أول حماة الإسلام ، ٢٠٧.

فَقَالَ ﷺ: " اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ ."[1]

وَقَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيْسَ الشَّافِعِيُّ (رَحِمَهُ اللهُ!) : " قَالَ يَعْقُوْبُ أَبُو يُوْسُفَ القَاضِي (١١٣-١٨٢هـ): إِنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ عَفَا عَنْ مَكَةَ وَأَهْلِهَا؛ وَقَالَ ﷺ: " مَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ" ، وَنَهَى ﷺ عَنِ القَتْلِ مُسْتَثْنِيًا أَرْبَعَةَ عَشَرَ نَفَرًا سَمَّاهُم بِأَسْمَائِهِم؛ وَمِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ، وَوَحْشِيٌّ قَاتِلُ الحَمْزَةَ ﷺ، وَقَيْنَتَانِ[2] لِنَبِيْهِ وَمُنَبِّهٍ ابْنَي الحَجَّاجِ السَّهْمِيَّيْنِ، كَانَتَا تُغَنِيَانِ شِعْرًا فِي هِجَاءِ الإِسْلاَمِ ، وَرَسُوْلِ اللهِ ﷺ" وَقَالَ ﷺ لَهُم حِيْنَ اجْتَمَعُوا فِي المَسْجِدِ: " مَا تُرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟ "

قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ كَرِيْمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيْمٍ.

فقال ﷺ: " اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ"."[3].

رَوَى الأَزْرَقِي مِنْ طَرِيْق مُسْلِم بْن خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَالْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، وَطَاوُوسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ يَوْمَ الْفَتْحِ الْبَيْتَ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ، وَقَدْ لُبِطَ بِالنَّاسِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَأَخَذَ ﷺ بِعُضَادَتَيِ الْبَابِ؛ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، مَاذَا تَقُولُونَ، وَمَاذَا تَظُنُّونَ ؟ قَالُوا: نَقُولُ خَيْرًا وَنَظُنُّ خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، وَقَدْ قَدَرْتَ فَأَسْجِحْ قَالَ ﷺ : " فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ : ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّه لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[4]، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ "[5]، هَذَا هُوَ الحِلْمُ النَّبَوِيُّ وَالكَرَمُ النَّبَوِيُّ وَالعَفْوُ النَّبَوِيُّ عِنْدَ المَقْدِرَةِ.

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ، ٥٣١السيرة النبوي لابن هشام ، ٤ / ١٦٨١ عن السيرة النبوية لابن إسحاق.

(٢) السيرة النبوية لابن إسحاق ، ٥٣٠

(٣) ينظر في، السيرة النبوية لابن إسحاق ، ٥٣١السيرة النبوي لابن هشام ، ٤ / ١٦٨١ عن السيرة النبوية لابن إسحاق، والأم، للإمام مُحمد بن إدريس الشافعي، ٧/ ٣٨٢.

(٤) سورة يوسف، الآية : ٩٢.

(٥) أخبار مكة للأزرق، ٢/ ١٢١

ثلاثة مصائر:

القَتْلُ

أو الطرح أرضًا

أو الرمي في الجُبِّ

﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠﴾[1].

نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ يُوسُفَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) وَإِخْوَتِهِ، وَالنَّزْغُ دُخُوْلٌ فِي أَمْرٍ لِإِفْسَادِهِ[2]، وَقَدْ يَنْزَغُ الشيطان بين الأخ وأخيه كما في قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾[3]، ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾[4]، وَيَنْزَغُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّه ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[5]، وَ وَيَنْزَغُ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ وَأُمَمِهِم: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً﴾[6]، بَلْ ذَهَبُوا إِلَى أَغْرَبَ مِنْ هَذَا ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[7].

فَبَيَّتُوا الشَّرَّ لِأَخِيْهِم الطِّفْلِ البَرِيء ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[8]، هَذَا هُوَ الذَّنْبُ الذِي لاَ يُغْتَفَرُ لِأَبِيْهِم الذِي أَحَبَّ

(١) سورة يوسف، من الآية ٩ الى ١٠.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الإصفهاني، ٧٩٨، ومفردات الراغب الإصفهاني مع ملاحظات العاملي، ٧٠٢.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٩٠.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٥٥.
(٨) سورة يوسف، الآية: ٨.

ابْنَهُ، وَلِأَخِيهِم الذِي أَحَبَّهُ أَبُوهُ، فَمَا احْتَمَلَ إِخْوَتُهُ هَذِهِ العَلَاقَةَ بَيْنَهُمَا ﴿وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1]، حَتَّى زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ قَتْلَ أَخِيهِم فَوَضَعُوا القَتْلَ فِي أَوَّلِ الاخْتِيَارَاتِ فَقَالُوا: ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾، وَالقَتْلُ حَرَامٌ عُقُوبَتُهُ الخُلُودُ فِي النَّارِ، قَالَ تَعَالَى:﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾[2]، ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[3].

فَمَا بَالُكَ إِذَا كَانَ المَطْلُوبُ قَتْلُهُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ أَخًا يَقْتُلُهُ إِخْوَتُهُ؟! وَالاخْتِيَارُ الثَّانِي: الطَّرْحُ أَرْضًا ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ﴾، والطَّرْحُ أَرْضًا يَعْنِي انْتزاعُهُ مِنْ أَبِيْهِ وَإِخْوَتِهِ وَجَمِيْعِ أَفْرَادِ أُسْرَتِهِ الذِيْنَ أَحَبَهُم وَمَسْقَطِ رَأْسِهِ وَالبِيْئَةِ التِي وُلِدَ وَعَاشَ فِيْهَا وَيُرْمَى فِي مَكَانَ آخَرَ بَعِيْدٍ لَا يُمْكِنُهُ الرُّجُوْعُ مِنْهُ، فَيَعِيْشُ يَتَلَوَّى تَحْتَ سِيَاطِ الغُرْبَةَ التِي لَا تَجِدُ أَوْجَعَ مِنْهَا.

لَا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ ... وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيْهَا[4]

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٩٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٢
(٤) ينسب البيت لمروان بن مُحمد البصري أصله من بخارى (١١٢-٢٠٠هـ) الملقب بأبي الشَّمقمق بمعنى الطَّويل الضَّخم والمكنَّى بأبي مُحمد من موالي مروان الحمار ابن مُحمد آخر حكام بني أمية، ويقول المبرد في الكامل إنَّه من خراسان أسكنه عبيدُ الله بنُ زياد في سِكَّةِ البخاريَّة في البصرة، ويدعوه ابن خلكان (ت٦٨١هـ) "الكوفي" في وفيات الأعيان، ٦ / ٣٣٥، وينظر في تاريخ بغداد،١٤/ ٣٣٦، والمعجم الوسيط، ٤٩٤. له ديوان شعر حقَّقه وكتب عنه المستشرق النمساوي " جوستاف فون جرونباوم" ثمَّ ترجمَ الدِّراسة عنه مُحمد يوسف نجم وأعاد تحقيق شعره، وزاد عليه ما وجد له من شعر وراجع الجميع الدكتور إحسان عباس (١٩٢٠-٢٠٠٣م.) ووجد غيرهم شعرًا آخر له وضموه إلى ديوانه ونشروه، ولم أجد البيت في ديوانه. ترجمته في ديوانه، والحيوان للجاحظ ط مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٩م.،١/ ٢٣٥، و٢٦٣- ٢٦٩،و٣٥٥،و٤/ ٦٣و٤٥٤، و٧/ ١٧٥،والبخلاء للجاحظ، ٣٤٥، والكامل في الأدب واللغة طبعة الأزهرية، ٢/ ٢٤٢، و٢٤٤ ومعجم الشعراء للمرزباني، ٣٩٧، والعقد الفريد، طبعة، لجنة التأليف والترجمة والنشر١٩٤٩م.،٢/ ٣٥٣، و٣/ ٣٦، و٦/ ٢١٥، و٧/ ٢٣٩، ووفيات الأعيان، ٦ / ٣٣٥، و٣٤١، والأعلام للزركلي، ٧/ ٢٠٩، وغيرها.

وَالاخْتِيَارُ الثَّالِثُ لِإِبْعَادِ يُوْسُفَ عَنْ أَبِيْهِ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامُ) هُوَ رَمْيُهُ فِي البِئْرِ ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾

وَرَهْبَةُ وَضْعِ الرَّجُلِ المُقَيَّدِ عَلَى شَفِيْرِ بِئْرٍ مَظْلِمَةٍ مَطْوِيَّةٍ سَحِيْقَةٍ وَدَعِّهِ لِيَهْوِيَ فِيْهَا ، وَلَا يَعْلَمُ بِأَيِّ حَجَرٍ سَيَرْتَطِمُ أَثْنَاءَ سُقُوْطِهِ ، وَعَلَى أَيِّ حَجَرٍ سَيَسْقُطُ مِنْ حَوَاشِي البِئْرِإِذَا هَوَى حَالٌ مِنَ الرُّعْبِ لَا تُوصَفُ فَمَا بَالُكَ بِطِفْلٍ يَتَعَرَّضُ لِهَذَا الامْتِحَانِ العَسِيْرِ إِنَّهُ فَزَعٌ لَا يَقِلُّ عَنِ الفَزَعِ مِنَ المَوْتِ نَفْسِهِ، وِلَمْ تَنْفَعْ تَوَسُّلَاتُهُ بِإِخْوَتِه بِأَسْمَائِهِم وَاحِدًا فَوَاحِدًا، وَلَمَّا أَدْلَوْهُ بِالحَبْلِ مُقَيَّدًا، وَقَطَعُوا الحَبْلَ إِرَادَةً مِنْهُمُ أَنْ يَمُوْتَ فَهَوَى عليه السلام صَابِرًا عَلَى مِثْلِ حَزِّ المُدَى، فَتَلَقَاهُ جَبْرَئِيْلُ وَتَنَاوَلَهُ وَخَفَّفَ مِنْ وَحْشَتِهِ وَسَكَّنَ مِنْ رَوْعِهِ، وَبَشَّرَهُ بِالنُّبُوَّةِ وَالفَرَجِ وَهُوَ فِي البِئْرِ، وَأَمَرَ اللهُ تُعَالَى صَخْرَةً فِي قَعْرِالبِئْرِ فَارْتَفَعَتْ فَوَقَفَ عَلَيْهَا يُوْسُفُ[1] عليه السلام ، وَمِنْ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ يُوْسُفَ أَنْ قَيَّضَ لَهُ سَيَارَةٌ انْتَشَلَتْهُ مِنِ البِئْرِ ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾[2]، السير: المضي في الأرض، ورجل سائر وسيار، والسيارة الجماعة السائرة[3] ، والوارد: الذي يتقدم القوم فيسقي لهم[4]، دلوت الدلو أيضًا أرسلتها، وأدليتها أخرجتها، وقيل: يكون بمعنى أرسلتها[5]، واستعير للتوصل إلى الشيء قال الشاعر:

وَلَيْسَ الرِّزْقُ عَنْ طَلَبٍ حَثِيْثٍ ... وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فِي الدِّلَاءِ

(١) النبوة، للشيخ الصدوق أبي جعفر مُحَمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ١١٥ ، ومجمع البيان، ٥ / ٢٨٥-٢٩٠.

(٢) سورة يوسف، من الآية ١٩ الى ٢٠.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الإصفهاني،٤٣٢، ومفردات الراغب الإصفهاني مع ملاحظات العاملي، ٤٠٧.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الإصفهاني،٨٦٥ ، ومفردات الراغب الإصفهاني مع ملاحظات العاملي، ٧٥٧.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الإصفهاني، ٣١٧، ومفردات الراغب الإصفهاني مع ملاحظات العاملي، ٢١٦.

شَرَيْتُ بِمَعْنَى بِعْتُ أَكْثَرُ وَابْتِعْتُ بِمَعْنَى اشْتَرَيْتُ أَكْثَرُ[1].

وَجَاءَتْ جَمَاعَةٌ مَارَّةٌ، قَالُوا إِنَّمَا جَاؤُوا مِنْ قِبَلِ (مَدْيَنَ) يُرِيْدُوْنَ مِصْرَ فَأَخْطَؤُوا الطَّرِيْقَ فَهَامُوا حَتَّى نَزَلُوا قَرِيْبًا مِنَ الجُبِّ ، وَكَانَ الجُبُّ فِي قَفْرَةٍ بَعِيْدًا عَنِ العِمْرَانِ وَإِنَّمَا هُوَ لِلرُّعَاةِ وَالْمُجْتَازَةِ، وَكَانَ مَاؤُهُ مَالِحًا فَعَذُبَ ﴿ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ ﴾ أَيْ: فَبَعَثُوا مَنْ يَطْلُبُ لَهُمُ المَاءَ، يُقَالُ بَعَثُوا رَجُلًا يُقَالُ لَهُ (مَالِكُ بْنُ زَعْر) لِيَطْلُبَ لَهُمُ المَاءَ ﴿ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ﴾ أَيْ: فَأَرْسَلَ دَلْوَهُ فِي البِئْرِ لِيَسْتَقِي فَتَعَلَّقَ يُوْسُفُ عليه السلام بِالحَبْلِ، فَلَمَّا خَرَجَ وَإِذَا هُوَ أَحْسَنُ مَا يَكُوْنُ مِنَ الغِلْمَانِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ يُوْسُفُ شَطْرَ الحُسْنِ ، وَالنِّصْفُ الآخَرُ لِسَائِرِ النَّاسِ[2] .

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾، وَبَاعَ إِخْوَةُ يُوْسُفَ عليه السلام أَخَاهُم يُوْسُفَ بِثَمَنٍ رَخِيْصٍ ، بِمَبْلَغٍ قَلِيْلٍ ﴿ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾أَيْ قَلِيْلَة، قِيْلَ كَانَتْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا وَقِيْلَ كَانَتْ عِشْرِيْنَ دِرْهَمًا وَنُقِلَ يُوْسُفُ (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ) إِلَى مِصْرَ وَبِيْعَ هُنَاكَ فِي سُوقِ النَّخَاسِيْنَ، وَاشْتَرَاهُ عَزِيْزُ مِصْرَ ، وَقَدَّمَهُ هَدِيَّةً لِزَوْجَتِهِ زُلَيْخَا[3] .

ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ مِنَ السِّنِيْنَ:

سَبْعُ سِنِيْنَ خَيْرٍ وَبَرَكَةٍ وَعَطَاءٍ وَفِيْرٍ

وَسَبْعُ سِنِيْنَ عِجَافٍ شِدَادٍ

وَسَنَةُ غَيْثٍ وَغَوْثٍ.

قَالَ تَعَالَى : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الإصفهاني، ٤٥٣، ومفردات الراغب الإصفهاني مع ملاحظات العاملي ، ٤٣٣.

(٢) مجمع البيان، ٥ / ٢٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ٥ / ٢٩٥.

بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾[2]، أَيْ: أَوْحَى لِي اللهُ رَبِّي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّكُمْ سَتَزْرَعُوْنَ سَبعَ سِنِيْنَ مُتَتَالِيَةً فَتَحْصِدُونَ مِمَّا زَرَعْتُم خَيْرًا كَثِيْرًا فَذَرُوا زَرْعَكُم فِي سُنْبِلِهِ وَاخْزِنُوْهُ فَلَا تَدُوْسُوْهُ وَلَا تُذَرُّوهُ ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾، وَإِنَّمَا أَمَرَهُم بِذَلِكَ لِيَكُوْنَ أَبْقَى وَأَبْعَدَ عَنِ التَّلَفِ ؛ لِأَنَّ الحُبُوْبَ البَاقِيَةَ فِي سُنْبُلِهَا أَبْعَدُ عَنِ التَّلَفَ وَمَا يُدَاسُ وَيُذَرَّى أَسْرَعُ إِلَى التَّلَفِ، لِتَأْكُلُوا مَا خَزَنْتُم فِي سِنِيِّ القَحْطِ السَّبْعِ الشِّدَادِ التَّالِيَةِ وَخَزِّنُوْهُ بِسُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيْلاً مِمَّا تَأْكُلُوْنَ[3]، وَسَتَكُوْنُ الحُبُوْبُ التِي تَخْزِنُوْنَ طَعَامًا لِكُم فِي سِنِيِّ القِحْطِ، وَيَكُوْنُ التِّبْنُ عَلَفًا لِأَنْعَامِكُم . ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ أَيْ : سَبْعُ سِنِيْنَ مُجْدِبَاتٍ صِعَابٍ تَشُدُّ عَلَى النَّاسِ ﴿ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ مَعْنَاهُ تَأْكُلُوْنَ فِيْهَا مَا قَدَّمْتُم وَخَزَنْتُم فِي السِّنِيْنَ المُخْصِبَةِ لِتِلْكَ السِّنِيْنَ المُجْدِبَةِ ، وَإِنَّمَا أَضَافَ الأَكْلَ لِتِلْكَ السِّنِيْنَ لِأَنَّهُ يَقَعُ فِيْهَا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

نَهَارُكَ يَا مَغْرُوْرُ! سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ ... وَلَيْلُكَ نُوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمُ[4]

وَهَذَا الذِي حَصَلَ فِعْلًا ، فَقَدْ بَرَّأَ المَلِكُ يُوْسُفَ ﷺ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ بَعْدَ شَهَادَةِ النُّسْوَةِ بِبَرَاءَتِهِ، وَاعْتِرَافِ زُلَيْخَا، امْرَأَةِ العَزِيْزِ أَمَامَ المَلِكِ بِأَنَّهَا هِيَ التِي رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[5]، فَقَرَّبَهُ المَلِكُ مِنْهُ بَلْ جَعَلَهُ أَعْلَى المُقَرَّبِيْنَ ، وَأَوْكَلَ إِلَيْهِ كُلَّ أُمُوْرِ مِصرَ وَمِنْهَا الزِّرَاعَةُ وَآمَنَ المَلِكُ بِاللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ وَصَدَّقَ بِنُبُوَّتِهِ ﷺ ، فَأَمَرَ يُوْسُفُ بِزِرَاعَةِ كُلِّ أَرْضِ مِصرَ بِالحِنْطَةِ وَأَمَرَ بِعَمَلِ

(١) سورة يوسف، من الآية ٤٦ الى ٤٩.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٢٥.
(٣) مجمع البيان ، ٥ / ٣١٨.
(٤) مجمع البيان، ٥ / ٣١٨.
(٥) سورة يوسف، الآية : ٥١.

مَخَازِنَ مُحْكَمَةٍ مُحَصَّنَةٍ لِخَزْنِ الحِنْطَةِ بِسُنْبُلِها فَعُمِلَتْ ، وَجَاءَ نَتِيْجَةَ الزِّرَاعَةِ خَيْرٌ كَثِيْرٌ يَكْفِي أَهْلَ مِصرَ وَمَنْ جَاوَرَهُم، ثُمَّ خَزَنَهُ لِيَأْكُلَهُ النَّاسُ أَيَّامَ السِّنِيْنَ السَّبْعِ الشِّدَادِ التَّالِيَةِ .

﴿ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ مَعْنَاهُ إِلَّا شَيْئًا قَلِيْلًا مِمَّا تُحْرِزُوْنَ وَتَدَّخِرُونَ ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ أَيْ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ هَذِهِ الأَعْوَامِ القَاحِلَةِ الصَّعْبَةِ الشِّدَادِ عَامٌ يَنْزِلُ فِيْهِ الغَيْثُ عَلَى النَّاسِ، أَيْ: يُنْقَذُوْنَ وَيَنْجُوْنَ مِنَ القَحْطِ الذي حل بهم ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ الثِّمَارَ التِي تُعْصَرُ مِنَ الخِصْبِ كَالعِنَبِ وَالزَّيْتِ وَالسِّمْسِمِ .

وَهَذَا القَوْلُ مِنْ يُوْسُفَ ﷺ إِخْبَارٌ بِمَا لَمْ يَسْأَلُوْهُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي رُؤْيَا المَلِكِ بَلْ هُوَ مِمَّا أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ لِيَكُوْنَ مِنْ آيَاتِ نُبُوَّتِهِ ﷺ ، وَهَذَا دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّهُ مَا كَانَ يُعَبِّرُ الأَحْلَامَ ، أَوْ يُأَوِّلُهَا مِنْ عِنْدِهِ بَلْ يُعَلِّمُهُ اللهُ مَا سَيَحْصَلُ لِمَنْ رَآهَا ، وَلَمَّا دَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ أَخْبَرَهُمَا بِتَفْسِيْرِ مَنَامِيْهِمَا لَمَّا سَأَلَاهُ عَنْهُمَا وَقَالَ لَهُمَا:

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[1] أَيْ : قَضَى لِلّٰه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحَكَمَ عَلَيْكُمَا بِهَذَا المَصِيْرِ .

ثلاثة مرات دخل عليه اخوته:

دُخُوْلُ جَهْلٍ.

ودُخُولُ تَدبيْرِ سَبَبِ تَأْخِيْرِ أَخِيْهِ عِنْدَهُ.

ودُخُوْلُ تَوَسُّلٍ.

دُخُوْلُ جَهْلٍ.

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[2]؛ لِأَنَّهُم لَمْ يَتَوَقَّعُوا أَنَّ سَيَكُوْنُ أَخُوهُم عَزِيْزَ مِصْرَ وَيَمْلِكُ هَذَا المُلْكَ وَهَذَا الجَاهَ وَالسُّلْطَانَ ، وَيُقِيْمُ فِي هَذِهِ القُصُوْرِ التِي أَدْهَشَتْهُم ، وَأَدْهَشَهُم كُلُّ مَا يُحِيْطُ بِهِ مِنْ حَشَمٍ وَخَدَمٍ وَمُلْكٍ وَسَطْوَةٍ

(١) سورة يوسف، الآية : ٤١.

(٢) سورة يوسف، الآية : ٥٨.

عَرِيْضَةٍ، فَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُم بِمَا أَبْهَرَهُم ، أَمَّا هُوَ ﷺ فَقَدْ عَرَفَهُم مَعَ تَغَيُّرِ أَحْوَالِهِم، وَلِأَنَّهُم قَبْلَ دُخُوْلِهِم عَلَيْهِ دَوَّنُوا أَسْمَاءَهُم وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ ، وَسُرَّ بِهِم لِأَنَّهُ يُحِبُّهُم، وَقَدِ انْتِظَرَهُم زَمَنًا طَوِيْلًا ، وَسَأَلَهُم عَنْ حَالِهِم، وَاسْتَدْرَجَهُم فَعَلِمَ مِنْهُم أَنَّ لَهُم أَخًا أَكَلَهُ الذِّئْبُ عَلَى زَعْمِهِم، وَبَقِي أَبُوْهُم يَبْكِي عَلَيْهِ حَتَّى فَقَدَ بَصَرَهُ ، وَلَهُ أَخٌ مِنْ أُمِّهِ وَأَبِيْهِ لَا يُفَارِقُهُ خَوفًا عَلَيْهِ ، فأسرَّ هَذِهِ المَعْلُوْمَاتِ فِي نَفْسِهِ ﷺ.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾[1]، وَلاَ يَعْرِفُوْنَ كَيْفَ يَحْصَلُوْنَ عَلَى أَخِيْهِم بَنْيَامِيْنَ مِنْ أَبِيْهِم المَفْجُوْعِ بِفَقْدِ وَلَدِهِ يُوْسُفَ، وَهُوَ المُتَأَلِّمُ مِنْ تَفْرِيْطِ أَوْلَادِهِ بِأَخِيْهِم !! ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[2].

ودُخُولُ تَدبِيْرِ سَبَبِ تَأْخِيْرِ أَخِيْهِ عِنْدَهُ.

وَاسْتَعْمَلُوا كُلَّ الوَسَائِلِ وَالأَسَالِيْبِ لِإِقْنَاعِ أَبِيْهِم بِإِرْسَالِ أَخِيْهِم مَعَهَم إِلَى مِصْرَ لِلحُصُوْلِ عَلَى قُوْتِهِم وَقُوْتِ أَطْفَالِهِم وَعِيَالِهِم، قَبْلَ أَنْ يَهْلَكُوا جُوْعًا فَأَخَذَ عَلَيْهِم العُهُوْدَ، وَالمَوَاثِيْقِ ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[3]، وَأَرْسَلَهُ مَعَهَم ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[4]، فسرَّا مَعًا بِهَذَا اللقَاءِ بَعْدَ طُوْلِ فِرَاقٍ وَرَاحَ يُوْسُفُ يُدَبِّرُ السَّبَبَ الذِي يُؤَخِّرُ فِيْهِ أَخَاهُ بَنْيَامِيْنَ عِنْدَهُ لِيَبْلُغَ حُزْنُ أَبِيْهِ يَعْقُوْبَ ﷺ ذِرْوَتَهُ ، فَيَنَالَ مِنْ رَبِّهِ جَزَاءَ الصَّابِرِيْن ، كَمَا وَطَنَ جَدُّهُ إِبْرَاهِيْمُ الخَلِيْلُ ﷺ نَفْسَهُ عَلَى ذَبْحِ ابْنِهِ إِسْمَاعِيْلَ ﷺ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ

(١) سورة يوسف، من الآية ٥٩ الى ٦١.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٦٣.
(٣) سورة يوسف، الآية : ٧٢.
(٤) سورة يوسف، الآية : ٦٩.

فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[1]، فَبَلَغَا الدَّرَجَةَ الرَّفِيْعَةَ مِنَ الفَضْلِ، فَخَاطَبَ اللهُ تَعَالَى نَبِيِّهِ إِبْرَاهِيْمَ عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾[2]، أَرَاد اللهُ تَعَالَى لِيَعْقُوْبَ عَنْ طَرِيْقِ وَلَدِهِ يُوْسُفَ عليه السلام الصَّبْرَ الذِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الدَّرَجَةَ الرَّفِيْعَةَ فَتَسَبَبَ فِي تَأْخِيرِ بَنْيَامِيْنَ عِنْدَه ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾[3]، يُرِيْدُ : إِنَّكُمْ سَرَقْتُم يُوْسُفَ مِنْ أَبِيْهِ،﴿ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴾[4] تَوَقَفَ العِيْرُ الذِي يَضُمُّ أَوْلاَدَ الأَنْبِيَاءِ الذين كرمهم عزيز مصر وتفضل عليهم وسألوا ماذا فقدتم؟﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ ﴾[5].

تَبَيَّنَ أَنَّ المَسْرُوْقُ مِن عَزِيْزِ مِصْرَ المُنْعِمِ عَلَيْهِم الصُّوَاعُ الذَّهَبِي الذِي أَهْدَاهُ لَهُ مَلِكُ مِصْرَ، وَكَانُوا يَكِيْلُوْنَ بِهِ الحِنْطَةَ، وَالمُتَّهَمُوْنَ بِسَرِقَتِهِ ضُيُوفُهُ أَبْنَاءُ الأَنْبِيَاءِ !! وَالهَدِيَّةُ لِمَنْ يَعْتَرِفُ بِالسَّرِقَةِ وَيُعِيْدُهُ قَبْلَ التَّفْتِيْشِ حِمْلُ بَعِيْرٍ مِنَ الحِنْطَةِ ، وَالضَّامِنُ المُنَادِي بِهِم مِنْ خَلْفِهِم الذِي طَلَبَ مِنْهُم التَّوَقُّفَ عَنِ المَسِيْرِ . دُهِشَ أَوْلَادُ يَعْقُوْبَ لِصَدْمَةِ التُّهْمَةِ، أَوْلَادُ الأَنْبِيَاءِ، ضُيُوفُ عَزِيْزِ مِصْرَ المُنْعِمِ عَلَيْهِم يَسْرِقُوْنَ مِنْهُ الصُّواعَ الذَّهَبِي !! إِنَّه لَجُرْمٌ عَظِيْمٌ لَا يُغْتَفَرُ .

﴿قَالُواْ تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾[6].

قَالُوا : نُقْسِمُ بِاللهِ مَا جِئْنَاكُم لِنَشْرِ الجَرِيْمَةِ فِي الأَرْضِ، فَنَحْنُ أَوْلَادُ الأَنْبِيَاءِ وَلَيْسَ الفَسَادُ فِي الأَرْضِ وَلَا السَّرِقَةُ مِنْ شَيَمِنَا.

﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾[7]. قالوا فما حكم من وجدنا الصواع في رحله؟

(١) سورة الصافات، الآية : ١٠٢.
(٢) سورة البقرة، الآية : ١٢٤.
(٣) سورة يوسف، الآية : ٧٠.
(٤) سورة يوسف، الآية : ٧١.
(٥) سورة يوسف، الآية : ٧٢.
(٦) سورة يوسف، الآية : ٧٣.
(٧) سورة يوسف، الآية : ٧٤.

﴿ قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[1] .

قَالُوا : جَزَاؤُهُ : مَنْ وُجِدَ عِنْدَهُ يُؤْخَذُ وَيُسْتَعْبَدُ هَكَذَا الحُكْمُ فِي شَرِيْعَتِنَا، وَيُوْسُفُ يَعْلَمُ أَنّ هَذَا هُوَ حُكْمُ شَرِيْعَةِ بَنِي إِسْرَائِلَ وَأَهْلِ كَنْعَانَ فَالسَّارِقُ يُسْتَعْبَدُ عَلَى مِقْدَارِ سَرِقَتِهِ ، وهَذَا هُوَ المَطْلُوْبُ فَأَلْزِمُوْهُم بِمَا أَلْزَمُوا بِهِ أَنْفُسَهَم .

وَيُوْسُفُ عليه السلام يعلم بهذا الحكم في شريعة أبيه يعقوب عليه السلام وَعِنْدَ الكَنْعَانِيِيْنَ، فَحَصَلَ السَّبَبُ لِتَأْخِيْرِ بَنْيَامِيْنَ عَنْ العَوْدَةِ مَعَ إِخْوَتِهِ، فكيف يواجهون أباهم الشيخ الذي فقد بصره بسبب البكاء على فقدان أحد أولاده فما سيحل به بعد فقده الآخر؟!!

دُخُوْلُ وتَوَسُّلٍ :

وَتَدَاوَلُوا فِيمَا بَيْنَهُم وَقَرَّرُوا العَوْدَةَ إِلَى عَزِيْزِ مِصْرَ مُحَاوِلِيْنَ الإِفْرَاجَ عَنْ أَخِيْهِم بَنْيَامِيْنَ الذِي أُخِذَ فَاسْتَأْذَنُوا وَ دَخَلُوا عَلَيْهِ فِي هَذِهِ المَرَّةِ مُتَوَسِّلِيْنَ ﴿ قَالُواْ يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2]، فَامْتَنَعَ العَزِيْزُ وَلَمْ يُجِبْهِم وَرَدَّ طَلَبَهُم ﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذاً لَّظَالِمُونَ﴾[3]، وَلَمْ يَقُلْ سَرَقَ تَحَرُّزًا مِنَ الكَذِبِ وَلَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لَكُنَّا ظَالِمِيْنَ[4].

وَهَكَذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ خَائِبِيْنَ .

ثلاثة أَسْبَاب لإِقناع يعقوب بأخذ أخيهم:

الميرة وحفظ الأخ وزيادة الكيل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَـذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾[5].

فَأَوَّلُ الأَسْبَابِ التِي تَذَرَّعُوا بِهَا لِيَسْمَحَ أَبُوهُم لِأَخِيْهِم بَنْيَامِيْنَ بِالذِّهَابِ مَعَهَم إِلَى

(١) سورة يوسف، الآية : ٧٥.
(٢) سورة يوسف ، الآية : ٧٨.
(٣) سورة يوسف ، الآية : ٧٩.
(٤) مجمع البيان ، ٥ / ٣٣٨-٣٤٠.
(٥) سورة يوسف، الآية : ٦٥.

مِصْرَ، بِنَاءً عَلَى طَلَبِ عَزِيْزِ مِصْرَ مِنْهُم هُوَ:

الميرة :

لِأَنَّ عَزِيْزَ مِصْرَ طَلَبَ مِنْهُم إِحْضَارَهُ ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾[1] كَانَ إِحْضَارُ أَخِيْهِم بَنْيَامِيْنَ مَعَهُم شَرْطًا مِنْهُ عَلَيْهِم ، فَإِنْ لَمْ يُوفُوا بِهِ فَلَا كَيْلَ لَهُم وَلَا يَسْتَقْبِلُهُم ، قَالَ ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ ﴾[2] ، فَالمِيْرَةُ التِي فِيْهَا حَيَاتُهُم وَحَيَاةُ أَطْفَالِهِم وَكُلُّ عِيَالِهِم مُعَلَّقَةٌ فِي ذَهَابِ بَنْيَامِيْنَ مَعَهُم إِلَى مِصْرَ.

وحفظ الأخ :

وَكَانَ أَبُوْهُم يَعْقُوْبُ الذِي فَقَدَ وَلَدَهُ يُوْسُفَ ﷺ قَد آلَمَهُ فَقْدُ وَلَدِهِ يُوْسُفَ وَبَقِي مُتَعَلِّقًا بِأَخِيْهِ بَنْيَامِيْنَ لَا يَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِهِ خَائِفًا عَلَيْهِ مِنْ إِخْوَتِهِ فَرَفَضَ طَلَبَهُم ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِّنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[3] ؛ لِأَنَّهُ ذَاقَ مَرَارَةَ صُنْعِ أَوْلَادِهِ بِأَخِيْهِم يُوْسُفَ الذِي غَيَّبُوْهُ عَنْهُ، فقد علم من الله تعالى أنّه على قيد الحياة ولم يعلم بمكانه وحاله ، لذلك بقي متمسكا بأخيه بنيامين لا يطيق فراقه ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ ، وَعِنْدَهَا سَمَحَ لَهُ بِالسَّفَرِ مَعَهُم مع خوفه الشديد عليه منهم .

وزيادة الكيل :

وَالذَّرِيْعَةُ الثَّالِثَةُ التِي تَذَرَّعَ بِهَا أَوْلَادُ يَعْقُوْبَ ﷺ هِيَ زِيَادَةُ الكَيْلِ حِمْلَ بَعِيْرٍ، وَذَلِكَ مُهِمٌّ عِنْدَهُم وَلَيْسَ قَلِيْلًا فِي ذَلِكَ الظَّرْفِ الصَّعْبِ مِنْ حَاجَةِ العِيَالِ إِلَى الطَّعَامِ، أَمَّا أَبُوْهم فَحَيَاةُ وَلَدِهِ عِنْدَهُ أَهَمُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

فِي السُّوْرَةِ ثَلَاثَةُ حُمَاةٍ لِيُوْسُفَ ﷺ: أبوه، والعزيز، والملك.

(١) سورة يوسف، الآية : ٥٩.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٦٠.
(٣) سورة يوسف، الآية : ٦٦.

المحامي الأول : أبوه. (عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِمَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ)

أَحَبَّ يَعْقُوْبُ وَلَدَهُ يُوْسُفُ ﷺ ، لِمَا حَبَاهُ اللهُ مِنْ مَوَاهِبَ ، وَازْدَادَ لَهُ حُبًّا لَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ رُؤْيَاهُ ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[1]، فَانْبَهَرَ الشَّيْخُ بِالمَنْزِلَةِ العَالِيَةِ التِي حَبَاهُ اللهُ بِهَا وَحَذَّرَهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَنْ يَقْصُصَ رُؤْيَاهُ عَلَى إِخْوَتِهِ ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2]؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَتِهِ فَرَأَى فِي تَأْوِيْلِهَا المَنْزِلَةَ الرَّفِيْعَةَ التِي خَصَّهُ اللهُ بِهَا مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِ ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[3]، فَازْدَادَ لَهُ حُبًّا وَوَضَعَهُ فِي المَنْزِلَةِ التِي يَسْتَحِقُّهَا، وَتَوَجَّسَ مِنْ مَوْقِفِ إِخْوَتِهِ مِنْهُ فَشَمِلَهُ بِحِمَايَتِهِ خَوْفًا عَلَيْهِ ، وِما نِفِعتْ حِمَايَتُهُ وُمَا دَفَع عَنْهُ كَيْدَ إِخْوتِه، وَمَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُ مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ ﴿ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾[4].

وِالْمُحَامِي الثَّانِي هُوَ عَزِيْزُ مِصْرَ.

الذِي رَآه مَعْرُوْضًا لِلْبَيْعِ فِي سُوْقِ النَّخَّاسِيْن، وَمِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللهِ أَنْ يُباع فِي أَسْوَاقِهَا نَبِيٌّ مِنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَيُسْتَعْبَدَ، فَأَعْجَبَ العَزِيْزَ، وَأَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيْهِ ، وبَذَلَ مُقَابِلَهُ مِنَ المَالِ فَوْقَ مَا طَلَبُوا واشْتَرَاهُ ، وقَدَّمَه هَدِيَّةً إِلَى زَوْجِهِ زُلَيْخَا لِأَنَّهُ لَمْ يُنْجِبْ مِنْهَا،﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾[5]. وَاسْتَفَادَ مِنْهُ عَزِيْزُ مِصْرَ ، وَكُلُّ مَنْ فِي قَصْرِهِ ، وَمِنْ عِلْمِهِ وَتَدْبِيْرِهِ الأُمُوْرَ، كَمَا اسْتَفَادَ مِنْهُ الوَزِيْرُ المَسْؤُوْل عَنْ القَصْرِ، وَآمَنُوا بِنُبُوَّتِهِ وَاعْتَنَقُوا دِيْنَ التَّوْحِيْد هُوَ وَالعَزِيْزُ وَمَنْ فِي القَصْرِ وَتَوَلَّى العَزِيْزُ حِمَايَتَهُ،

(١) سورة يوسف، الآية : ٤.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٥.
(٣) سورة يوسف، الآية : ٦.
(٤) سورة يوسف، الآية : ٦٨.
(٥) سورة يوسف، الآية : ٢١.

وَقَالَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ أَيْ هَيِّئِي لَهُ مَوْضِعًا كَرِيمًا شَرِيفًا أَمِنًا يُنَاسِبُ مَنْزِلَتَهُ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِمَا رَأَى عَلَيْهِ مِنَ الجَمَالِ وَالعَقْلِ وَالهِدَايَةِ فِي الأُمُوْرِ، وَالعَزِيْزُ هُوَ خَازِنُ المَلِكِ وَخَلِيْفَتُهُ، وقائِدَ جُنْدِهِ فَكَانَ يَتَوَلَّى حِمَايَةَ يُوْسُفَ عليه السلام لِمَكَانَتِهِ عِنْدَهُ[1] .

وِالْمُحَامِي الثَّالِثُ هُوَ مَلِكُ مِصْرَ.

خَطَفَ يُوْسُفُ عليه السلام أَنْظَارَ جَمِيْعِ مَنْ رَآهُ بِعِلْمِهِ وَأَدَبِهِ وَخُلُقِهِ وَعَطْفِهِ عَلَى الفُقَرَاءِ وَالعَبِيْدِ ، وَنَبَاهَتِهِ وَحُلُوْلِهِ لِلمَشَاكِلِ بِأَسْلَمِ الحُلُوْلِ وَمِنْهُمُ مَلِكُ مِصْرَ، فَقَدْ كَانَ عَزِيْزُ مِصْرَ يَصْطَحِبُهُ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ عَلَى المَلِكِ فَانْبَهَرَ المَلِكُ بِهِ وَبِمَا وَهَبَهُ اللهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَالمِيْزَاتِ وَبِمَنْطِقِهِ وَآرَائِهِ فَوَجَدَ عِنْدَهُ عِلْمًا جَمًّا ، وَأَدَبًا عَالِيًا وَخُلُقًا لَا نَظِيْرَ لَهُ فَأَعْجَبَ المَلِكَ وَبَارَكَ لِلعَزِيْزِ عَلَيْهِ وَأَوْصَى الجَمِيْعَ بِحِمَايَتِهِ[2]، وَرَأَى ابْنُهُ وَوَلِيُّ عَهْدِهِ هَذَا الاهْتِمَامَ مِنْ أَبِيْهِ المَلِكِ بِيُوْسُفَ، وَلَمَّا مَاتَ المَلِكُ الأَبُ وَخَلَفَهُ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ ابْنُهُ وَرَأَى الرُّؤْيَا التِي أَهَالَتْهُ، وَقَصَّهَا عَلَى مَنْ حَوْلَهُ وَطَلَبَ مِنْهُم تَعْبِيْرَهَا لَهُ فَعَجِزُوا وَقَالُوا إِنَّهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، ثُمَّ سَأَلُوا يُوْسُفَ الذِي كَانَ فِي السِّجْنِ : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩﴾[3] ، أعجب الملك الابْنُ بِهَذَا التَّفْسِيْرِ لِرُؤْيَاهُ ، ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾[4]، وَأُعْجِبَ المَلِكُ بِهِ وَآمَنَ بِنُبُوَّتِهِ، وَآمَنَ بِاللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ ودَانَ بِدِيْنِ التَّوْحِيْدِ وَتَوَلَّى حِمَايَةَ يُوْسُفَ عليه السلام.

(١) مجمع البيان، ٥/ ٢٩٥.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) سورة يوسف، من الآية ٤٦ الى ٤٩.
(٤) سورة يوسف، الآية : ٥٤.

ثلاثةٌ سببوا له الأذى: إخوتُهُ، وامرأةُ العزيز ، والنُّسوةُ.

تَعَرَّضَ يُوْسُفُ ﷺ إِلَى الأَذَى فِي حَيَاتِه فَصَبَرَ عَلَى مَا أَصَابَهُ ، وَأَوَّلُ مَنْ آذَاهُ ﷺ إِخْوَتُهُ، فَبَعْدَ مَا عَلِمُوا مِنْ بَعْضِ مَنْ حَوْلَ أَبِيْهِم بِرُؤْيَا وَلَدِهِ يُوْسُفَ ﷺ ، وَتَأْوِيْلِهَا بيتوا لأَخِيْهِم الشَّرَّ ، وَاسْتَدْرَجُوا أَبَاهُم ﷺ ، حَتَّى أَخَذُوْهُ مِنْهُ ، وَأَخْرَجُوْهُ مَعَهُمْ ، وَآذَوْهُ فَضَرَبُوْهُ وَأَدْمَوْهُ وَقَيَّدُوْهُ وَرَمَوْهُ فِي الجُبِّ وَبَاعُوْهُ ﴿ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾[1]، وَبِيْعَ فِي سُوْقِ النَّخَّاسِيْنَ عَبْدًا ، فَصَبَرَ وَاسْتَسْلَمَ لِأَمْرِ رَبِّهِ الذِي نَصَرَهُ وَأَيَّدَهُ وَأَرْسَلَهُ نَبِيًّا لِإِنْقَاذِ أَهْلِ مِصْرَ مِنَ الشِّرْكِ وَاعْتَنَقُوا دِيْنَ التَّوْحِيْدِ فَآمَنُوا بِاللهِ الوَاحِدِ الأَحَد عَنْ طَرِيْقِ الرَّمْيِ فِي الجُبِّ وَإِخْرَاجِهِ مِنْهُ وَبَيْعِهِ واسْتِعْبَادِهِ ، ثُم دَعْوَتِهِ النَّاسَ إِلَى دِيْنِ التَّوْحِيْدِ فَآمَنُوا.

وَالثَّانِي امرأةُ العَزِيْزِ زُلَيْخَا فَعِنْدَمَا أَحَبَّ النَّاسُ يُوْسُفَ ﷺ مِنْ مَلِكِ مِصْرَ إِلَى عَبِيْدِهِ إِنَّمَا لَاحَظُوا فِيْهِ صِفَاتِ النُّبْلِ وِالكَمَالِ كَالعِلْمِ وَالحِلْمِ وَحُسْنِ الإِدَارَةِ، وَالأَخْلَاقِ وَالعَطْفِ عَلَى الفُقَرَاءِ ، وَلَكِنَّ امْرَأَةَ العَزِيْزِ تَوَجَّهَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَأَحَبَّتْهُ حُبًّا آخَرَ فَقَدْ نَظَرَتْ إِلَى فُتُوَّتِهِ وَرَوْعَةِ جَمَالِهِ فَشَغَفَهَا حُبًّا فَتَابَعَتْهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ وَضَايَقَتْهُ ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2] حَتَّى صَارَ أَمْرُهَا حَدِيْثَ النَّاسِ ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3]، وَهَذَا مَا سَبَّبَ لَهُ الأَذَى.

وَالثَّالِثُ الذِي سَبَّبَ لَهُ الأَذَى النُّسْوَةُ.

فَلَمَّا صِرْنَ يَتَحَدَّثْنَ عَنْ عِلَاقَةِ امْرَأَةِ العِزِيْزِ بِفَتَاهَا ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ

(١) سورة يوسف، الآية : ٢٠.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٢٣.
(٣) سورة يوسف، الآية : ٣٠.

ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[1]، وَرَاحَتِ امْرَأَةُ العَزِيْزِ تُغْرِي النِّسْوَةَ بِهِ لَعَلَّهُ يَسْتَجِيْبُ لِإِحْدَاهِنَّ، وَلَكِنَّ الجَوْهَرَ لَا يَتَبَدَّلُ وَالنُّبُوَّةَ االتِي تَحَصَّنَ بِهَا فَعَصَمَتْهُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ مَازَالَتْ تُلَازِمُهُ فَاحْتَقَرَ النِّسْوَةَ كَمَا احْتَقَرَ قَبْلَهُن مَنْ هِيَ أَعْلَى مِنْهُنَ مَنْزِلَةً وَهِيَ الخَائِنَةُ زُلَيْخَا امْرَأَةُ العَزِيْزِ وَزَجَرَهُنَّ ، وَلَكِنَّهُ تَأَلَّمَ لِلأَذَى النَّفْسِي الذِي أَلْحَقْنَهُ بِهِ .

ثلاثة شهود: أخوته، وشهد شاهد من أهلها، والنسوة.

فِي سُوْرَةِ يُوْسُفَ ثَلَاثَةُ شُهُوْدٍ

أولهم إخوته :

الذِينَ اعْتَرَفُوا فِي آخِرِ المَطَافِ بِذُنُوْبِهِم، وَأَنَّهُم اعْتَدَوا عَلَى أَخِيْهِم يُوسُفَ ﷺ، وَعَرَّضُوا حَيَاتَهُ لِلْخَطَرِ وَاعْتَرَفُوا بِذُنُوْبِهِم وَطَلَبُوا مِنْهُ العَفْوَ وَالمَغْفِرَةَ: ﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾[2].

فَأَجَابَهُم بِمَا يُجِيْبُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ الكِرَامُ: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[3].

وَشَهِدُوا أَمَامَ أَبِيْهِم يَعْقُوْبَ ﷺ ، بالخطأ واعتذرو إليه﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾[4]، فَمَا زَجَرَهُم وَلَا نَهَاهُم، وَلَا قَالَ لَهُم : إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ دُعَاءَ عِبَادِهِ وَيَقُوْلُ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[5] بَلْ عَطَفَ عَلَيْهِم بِشَفَقَتِهِ الأَبَوِيَّةِ ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[6]، وَلِكِنَّهُ سَوَّفَ يدعوا لَهُمُ لِعُمْقِ الجُرْحِ الذِي أَحْدَثُوْهُ فِي قَلْبِهِ بِسَرِقَتِهِم وَلَدَهُ يُوْسُفَ مِنْهُ، وَلِحَاجَتِهِ إِلَى بَعْضِ الوَقْتِ لِيَسْكُتَ عَنْهُ غَضَبُهُ عَلَيْهِم : ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ التِي تَحْتَاجُ إِلَى بَعْضِ

(١) سورة يوسف، من الآية ٣١ الى ٣٢.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٩١.
(٣) سورة يوسف، الآية : ٩٢.
(٤) سورة يوسف، الآية : ٩٧.
(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦.
(٦) سورة يوسف، الآية : ٩٨.

الزَّمَنْ ، وَلَمْ يَقُل لَهُم: سَأَسْتَغْفِرْ لَكُم رَبِي ، أَوْ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمُ الفَوْرِي

وَالشَّاهِدُ الثَّانِي هُوَ: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ ﴾[1].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (ت٦٨هـ) الذِي أَخَذَ عِلْمَهُ عَنْ مُعَلِّمِهِ الأَوَّلِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا انْتَقَلَ الرَّسُوْلُ ﷺ إِلَى الرَّفِيْقِ الأَعْلَى انْتَقَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى مُعَلِّمِهِ الثَّانِي أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَسَعِيْدُ بْنُ جُبَيْرٍ(ت٩٥هـ) الرَّاوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ الشَّاهِدَ طِفْلٌ فِي الْمَهْدِ ابْن ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ زُلَيْخَا،وَشَاهِدٌ كَهَذَا فَإِنَّ شَهَادَتَهُ مُعْجِزَةٌ كَافِيَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِه، أَنَّ الشَّاهَدَ كَانَ رَجُلاً حَكِيمًا هُوَ ابْنُ عَمِّ زُلَيْخَا كَانَ جَالِسًا مَعَ زَوْجِهَا العَزِيْزِ عِنْدَ البَابِ فَقَالَ الشَّاهِدُ: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ ﴾ أَيْ: شُقَّ ﴿ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ ﴾ المَرْأَةُ ﴿ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ ﴾ فِيمَا قَالَ يَعْنِي يُوْسُفَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ هُوَ القَاصِدَ وَهِيَ الدَّافِعَةُ ، ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ﴾[2]، أَيْ: مِنَ الخَلْفِ ﴿ فَكَذَبَتْ ﴾ المَرْأَةُ ﴿وَهُوَ﴾ أَيْ: يُوْسُفُ عليه السلام ﴿مِن الصَّادِقِينَ﴾ لِأَنَّهُ الهَارِبُ وَهِيَ الطَّالِبَةُ، وَهَذَا أَمْرٌ ظَاهِرٌ وَاسْتِدْلَالٌ صَحِيْحٌ ﴿ فَلَمَّا رَءا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾[3]، أَيْ فَلَمَّا رَأَى زَوْجُهَا قَمِيْصَ يُوْسُفَ شُقَّ مِنْ الخَلْفِ عَرَفَ خِيَانَةَ المَرْأَةِ فَأَدَانَهَا وَبَرَّأَهُ ﴿قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾، وَإِنَّمَا وَصَفَ كَيْدَهُنَّ بِأَنَّهُ عَظِيْمٌ، لِأَنَّهَا حِيْنَ فَاجَأَتْ زَوْجَهَا عِنْدَ البَابِ لَمْ تَنْدَهِشْ ، وَلَمْ تَتَحَيَّرْ فِي أَمْرِهَا، وَرَمَتِ الذَّنْبَ عَلَى يُوْسُفَ عليه السلام ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[4]، يَعْنِي قَالَ العَزِيْزُ، عَلَى الأَرْجَحِ، يَا يُوْسُفُ! لَقَدْ ظَهَرَتْ بَرَاءَتُكَ فَأَمْسِكْ عَنْ هَذَا الحَدِيْثِ ، فَلَا تَذْكُرْهُ حَتَّى لَا يَفْشُو فِي المَدِيْنَةِ، واكتفى بقوله له: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا﴾، ثُمَّ قَالَ لِزُلَيْخا: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ

(١) سورة يوسف، الآية : ٢٦.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٢٧.
(٣) سورة يوسف، الآية : ٢٨.
(٤) سورة يوسف، الآية : ٢٩.

مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ أَيْ: تُوْبِي وَاطْلُبِي العَفْوَ والمَغْفِرَةَ مِنْ ذَنْبِكِ فَإِنَّ الذَّنْبَ كَانَ مِنْكِ لَا مِنْ يُوْسُفَ[1].

وَالشَّاهِدُ الثَّالِثُ: النِّسْوَةَ :

أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ إِخْرَاجِ يُوْسُفَ ﷺ مِنَ السِّجْنِ ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾[2]. ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ﴾ فِي الكَلَامِ حَذْفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ الظَّاهِرُ ، وَهُوَ فَلَمَّا رَجَعَ صَاحِبُ االشَّرَابِ ، وَهُوَ رَسُوْلُ المَلِكِ إِلَى المَلِكِ بِجَوابِ يُوْسُفَ وَتَعْبِيْرِهِ رُؤْيَاهُ، قَالَ الْمَلِكُ: ائْتُونِي بِهِ ، أَيْ: بِهَذَا الذي عَبَّرَ رُؤْيَايَ، ﴿ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ﴾ أَيْ: لَمَّا جَاءَ يُوْسُفَ رَسُوْلُ المَلِكِ وَقَالَ لَهُ : أَجِبِ المَلِكَ أَبَى يُوْسُفُ ﷺ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ السِّجْنِ حَتَّى تُعْلَنَ بَرَاءَتُهُ مِمَّا قُذِفَ بِهِ ، وَ﴿قَالَ﴾ يُوْسُفُ لِلرَّسُوْلِ:﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ أَيْ : سِيِّدِكَ وَمَالِكِكَ الذِي اشْتَرَاكَ بِالأَمْوَالِ التِي حَازَهَا ، وَهُوَ المَلِكُ ، ﴿ فَاسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ ﴾أَيْ مَا حَالُهُنَّ وَمَا شَأْنُهُنَّ؟ وَالمَعْنَى : فَاسْأَلِ المَلِكَ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى حَالِ النِّسْوَةِ ﴿ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ ؛ لِيَعْلَمَ صِحَةَ بَرَاءَتِي فَطَلَبَ شَهَادَةَ النِّسْوَةِ ، وَلَمْ يُفْرِدِ امْرَأَةَ العَزِيْزِ بِالذِّكْرِ لِلْعِشْرَةِ مَعَ هَذِهِ الأُسْرَةِ التِي عَاشَ مَعَهَا وَأَحْسَنَتْ مَثْوَاهُ، وَوَفَاءً لَهَا، وَرِعَايَةً لِلأَدَبِ لِكَوْنِهَا زَوْجَةَ العَزِيْزِ، وَلِلسِّتْرِ عَلَيْهَا فَخَلَطَهَا بِالنِّسْوَةِ، وَرُبَّمَا أَرَادَهُنَّ دُوْنَهَا لِأَنَّهُنَّ الشَّاهِدَاتُ عَلَيْهَا أَلَا تَرَى أَنَّ جَوابَهُنَّ وَجَوابَهَا جَاءَ بِبَرَاءَتِهِ وَبِاعْتِرَافِهِنَّ عَلَى مَا حَصَلَ مِنْهُنَّ؟!!:

﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[3]، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النِّسْوَةَ كُنَّ ادَّعَيْنَ عَلَيْهِ نَحْوَ مَا ادَّعَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةُ العَزِيْزِ

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾[4] بالجمع ، مَعْنَاهُ يَا رَبِّ!

(١) مجمع البيان ، ٥ / ٣٠٣.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٥٠.
(٣) سورة يوسف، الآية : ٥١.
(٤) سورة يوسف، الآية : ٣٣.

السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ وأَسْهَلُ عَلَيَّ ﴿ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ مِن ارْتِكَابِ الفَاحِشَةِ ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ النِّسْوَةَ دَعَوْنَهُ إِلَى مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ امْرَأَةُ العَزِيْزِ، وَفِي حَدِيْثِ أَبِي حَمْزَةَ ثَمَالِي (ت ١٥٠ هـ)[1] عَنْ عَلِيٍّ زَيْنِ العَابِدِيْنَ ﷺ، أَنَّ النِّسْوَةَ لَمَّا خَرَجْنَ مِنْ عِنْدِهَا أَرْسَلَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ إِلَى يُوْسُفَ ﷺ سِرًّا تَسْأَلُهُ الزِّيَارَةَ ، وَقِيْلَ: اسْتَأْذَنَّ امْرَأَةَ العَزِيْزِ بِأَنْ تَخْلُو كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بِهِ ، وَتَدْعُوْهُ إِلَى مَا أَرَادَتْهُ مِنْهُ إِلَى طَاعَتِهَا، فَلَمَّا خَلَوْنَ بِهِ دَعَتْهُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ إِلَى نَفْسِهَا، فَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ : ﴿ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ مِن ارْتِكَابِ الفَاحِشَةِ وَالخِيَانَةِ[2].

ثلاثة مواقع كانت ليوسف: كان بضاعة ، ثم أصبح سجينا ،ثم صار عزيز مصر ويملك مصرَ وأهلها.

كان بضاعة :

اسْتَدْرَجَ أُخْوَةُ يُوْسُفَ أَبَاهُ ﷺ وَأَخَذُوا مِنْهُ وَلَدَهُ العَزِيْزَ أَخَاهُمْ يُوْسُفَ ﷺ لِيَرْتَعَ وَيَلْعَبَ وَعَاهَدُوا أَبَاهُمْ عَلَى حِفْظِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ مَعَهُمْ وَابْتَعَدُوا بِهِ أَوْجَعُوْهُ ضَرْبًا ، وَهَدَّدُوهُ بِالقَتْلِ وَرَمَوْهُ فِي الجُّبِ بِقَصْدِ قَتْلِهِ، وَرَاحَتْ تَوَسُّلاتُهُ بِهِم أَدْرَاجَ الرِّيَاحِ، وَقَيَّضَ اللهُ تَعَالَى لَهُ سَيَارَةً فَأَخْرَجَهُ وَارِدُهُم مُعَلَّقًا بِالحَبْلِ ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾[3] ، وَادَّعَى إِخْوَتُهُ أَنَّهُ عَبْدُهُمُ الآبِقُ فَبَاعُوا أَخَاهُمْ

(١) هو ثابت بن أَبي صفيّة دينار ، ودينارُ اسمُ أبيه، وكنيتُهُ المشهور بها أَبو حمزةَ الثمالي نسبةً إلى إحدَى بُطُونِ قبيلةِ الأزد العربية، هو من موالي المهلب بن أبي صُفرة وليس من قبيلتهم، وهو رَاوٍ وَمُفَسِّرٌ كُوْفِيٌّ، ثِقَةٌ، كَانَ من أصحابِ أَرْبَعَةٍ مِنَ الأَئِمَةِ الأطهار؛ وَهُمُ،عليٌّ زين العابدين،ومُحمدٌ الباقر،جعفرٌ الصَّادقُ، وموسى الكاظِمُ ﷺ وَرَوَى عَنْهُمْ، وكان من خِيَارِ أصحابهم، وثُقَاتِهِم، رُوِيَ عن الإمام الصَّادِقِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ، " أَبُو حَمْزَةَ فِي زَمَانِهِ مِثْلُ سَلمَانَ فِي زَمَانِهِ". عَلَّمَهُ الإمامُ زينُ العَابِدِينَ ﷺ الدُّعَاءَ الذي رَوَاهُ عَنْهُ ﷺ، وَعُرِفَ بِدُعَاءِ أَبِي حَمْزَةَ الثَّمالي. وهو تلميذ الإمام الصادق ﷺ، وله عدة كتب، ومنها ، كتاب النوادر وكتاب في الزهد، وهو تلميذُ إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي الكوفي (١٢٧هـ) ينظر في، فهرست الطوسي،٤١-٤٢،الرقم، ١٢٧، ورجال الطوسي، ١٢٩ و ١٧٤ و ٢٩٦و٣٣٣، ورجال النَّجاشي، ٢٩٦، وحلية الأولياء، ٣/ ١٩٩، ومعجم رجال الحديث، ٤/ ٢٩٢-٣٠٠ الترجمة، ١٩٥٩، وتاريخ الحوزة العلمية لكاتب هذه السطور، الكتاب تحت الطبع ، ١ / ٧٦.

(٢) مجمع البيان ، ٥ / ٣٠٨.

(٣) سورة يوسف، الآية : ١٩

يُوسُفَ عليه السلام بِثَمَنٍ رَخِيصٍ ، بِمَبْلَغٍ قَلِيلٍ ﴿ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ أَيْ قَلِيلَة، قِيْلَ: كَانَتْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَقِيْلَ: كَانَتْ عِشْرِيْنَ دِرْهَمًا وَنُقِلَ يُوسُفُ عليه السلام إِلَى مِصْرَ وَبِيْعَ هُنَاكَ فِي سُوقِ النَّخَاسِيْنَ، وَاشْتَرَاهُ عَزِيْزُ مِصْرَ ، الذِي لَمْ يُنْجِبْ، وَقَدَّمَهُ هَدِيَّةً لِزَوْجَتِهِ زُلَيْخَا[1] .

فَأَعْجَبَهَا كَثِيْرًا وَرَاحَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ صَبَاحَ مَسَاءَ نَظْرَةً مُرِيْبَةً خَاصَّةً لَا يُفَارِقُهُ بَصَرُهَا، ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ ﴾ يُوسُفُ ﴿أَشُدَّهُ ﴾ أَيْ ذِرْوَةَ شَبَابِهِ، تَعَلَّقَتْ بِهِ أَكْثَرَ ، وَاعْتَرَفَتْ بِنَفْسِهَا بِمَا فَعَلَتْ بِهِ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾[2].

ثُمَّ أَصْبَحَ سَجِيْنًا.

وَلَمَّا اسْتَعْصَمَ وَرَفَضَ ارْتِكَابَ المَعْصِيَةِ وَالخِيَانَةِ وَهُدِّدَ بِالسِّجْنِ عُقُوبَةً عَلَى رَفْضِهِ وَتَمَرُّدِهِ عَلَى سَيِّدَتِهِ وَمَالِكَتِهِ ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾[3]؛ لِأَنَّ عُقُوْبَةَ السَّجْنِ بِسَبَبِ غَضَبِ المَخْلُوْقِ، وَعُقُوْبَةَ جَرِيْمَةِ مَعْصِيَةِ اللهِ وَالخِيَانَةِ بِسَبَبِ غَضَبِ الخَالِقِ ، وَعُقُوْبَةُ الخَالِقِ لَا تُطَاقُ وَهِيَ أَشَدُّ بِكَثِيْرٍ مِنْ عُقُوْبَةِ المَخْلُوْقِ بَلْ لا تُقَاسُ بِهَا، فَوَطَّنَ نَفْسَه عَلى تَحَمُّلِ عُقُوْبَةِ السِّجْنِ تَفَادِيًا لِعُقُوْبَةِ الجَبَّارِ.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[4]، أَيْ : مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوا الأَدِلَّةَ عَلَى بَرَاءَتِهِ، مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ، وَصَبَرَ عَلَى ظُلْمِ البَشَرِ لَهُ لِأَنَّهُ رَفَضَ الخِيَانَةَ وَمَعْصِيَةَ رَبِّهِ.

وَلَبِثَ فِي السِّجْنِ ثُمّ رَأَى المَلِكُ رُؤْيَا البَقَرَاتِ وَالسِّنَابِلِ، وَمَاعَرَفَ المُعَبِّرُوْن تَعْبِيْرَهَا، فأرسلوا إليه في سجنه يسألونه : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا

(١) مجمع البيان، ٥ / ٢٩٥.
(٢) سورة يوسف، من الآية ٣١ الى ٣٢.
(٣) سورة يوسف، الآية : ٣٣.
(٤) سورة يوسف، الآية : ٣٥.

تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[1]، وَلَمَّا عَادَ الرَّسُوْلُ إِلَى المَلِكِ بِالجَوابِ أَعْجَبَه الجَوَابُ كُلَّ الإِعْجَابِ ، ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾[2]، قَالَ يُوسُفُ عليه السلام لِلرَّسُوْلِ ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ أَيْ: إِلَى صَاحِبِكَ الذِي مَلَكَكَ بِالشِّرَاءِ، ﴿فَاسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ فَعَادَ الرَّسُوْلُ إِلَى المَلِكِ بِجَوابِهِ عليه السلام فَأَمَرَ المَلِكُ بِاحْضَارِ النِّسْوَةِ أَمَامَهُ[3]،﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[4].

ثُمَّ صَار عَزِيْزَ مِصْرَ وَيَمْلِكُ مِصْرَ وَأَهْلَهَا.

فَلَمَّا عَرَفَ المَلِكُ حَقِيْقَةَ، الأَمْرِ بَعْدَ اعْتِرَافِ النِّسْوَةِ أَدَانَهُنّ وَحَكَّمَ بِبَرَاءَةِ يُوْسُفَ الصِّدِّيْقِ عليه السلام[5]، ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[6] ، أَيْ: فَلَمَّا حَضَرَ يُوْسُفُ عليه السلام عِنْدَ المَلِكِ، ﴿ قَالَ﴾ المَلِكُ لِيُوْسُفَ: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ، وَجَعَلَهُ عَزِيْزَ مِصْرَ، وَآمَنَ المَلِكُ بِاللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ وَبِنُبُوَّةِ يُوْسُفَ الذِي صَارَ يَمْلِكُ مِصْرَ وَأَهْلَهَا، وَحَرَّرَهُم جَمِيْعًا[7].

الآيَةُ المُبَارَكَةُ ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾[8].

وَرَدَتْ فِي القُرْآنِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ؛ مَرَةً فِي الأَنْعَامِ، وَمَرَّتَيْنِ مِنْهَا فِي سُوْرَةِ يُوْسُفَ .

قَالَ تَعَالَى فِي سُوْرَةِ الأَنْعَامِ : ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ

(١) سورة يوسف، من الآية ٤٦ الى ٤٩.
(٢) سورة يوسف، الآية : ٥٠.
(٣) النبوة للشيخ الصدوق ، ١٢١.
(٤) سورة يوسف، الآية : ٥١.
(٥) النبوة للشيخ الصدوق، ١٢١ـ ١٢٢، ومجمع البيان، ٥ / ٣٢٠
(٦) سورة يوسف، الآية : ٥٤.
(٧) النبوة للشيخ الصدوق، ١٢١، ومجمع البيان ، ٥ / ٣٢٣.
(٨) سورة الإنعام، الآية : ٥٧، وسورة يوسف، الآية : ٤٠ ، والآية : ٦٧ .

بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾[1].

لَمَّا أُمِرَ النَّبِيَّ ﷺ بِأَنْ يَتَبَرَّأَ مِمَّا يَعْبُدُ الْمُشْرِكُوْنَ عَقَّبَ ذَلِكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالبَيَانِ أَنَّهُ عَلَى حُجَّةٍ مِن ذَلِكَ وَبَيِّنَةٍ ، وَأَنَّهُم لَا حُجَّةَ لَهُم ﴿ قُلْ ﴾ يَا مُحَمَّدُ ! لِهَؤُلَاءِ الكُفَّارِ: ﴿ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أَيْ: عَلَى أَمْرٍ بَيِّنٍ وَلَسْتُ مُتَّبِعَ الهَوَى،وَقَالُوا: البَيِّنَةُ: النُّبُوَّةُ أَيْ: عَلَى نُبُوَّةٍ مِنْ رَبِّي، وَقِيْلَ: عَلَى حُجَّةٍ مِنْ مُعْجِزَةٍ دَالَّةٍ عَلَى نُبُوَّتِي، وَهْيَ القُرْآنُ الكَرِيْمُ ، وقِيْلَ على يَقِيْنٍ مِنْ رَبِّي، ﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِ ﴾ أَيْ : بِمَا أَتَيْتُكُم بِهِ مِنَ البَيَانِ، يَعْنِي القُرْآنَ ﴿ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ قِيْلَ مَعْنَاهُ : مَا عِنْدِي الذِي تَطْلُبُونَهُ مِنَ العَذَابِ، فَقَدْ كَانُوا يَقُوْلُوْنَ: يَا مُحَمَّدُ! إئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا بِهِ مِنَ العَذَابِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾[2] ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[3] ،وَقِيْلَ: هِي الآيَاتُ التِي اقْتَرَحُوْهَا عَلَيْهِ اسْتَعْجَلُوْهُ بِهَا[4].

موقف الخوارج من الآية، ومن أمير المؤمنين عليه السلام.

وَاتَّخَذَ الخَوَارِجُ هَذِهِ الآيَةَ شِعَارًا لَهُمْ، وَلَمَّا سَمِعَهُمْ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام قَالَ: " كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ"[5] أَيْ:إِذَا أَرَادَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَيْئًا مِنْ أَفْعَالِ نَفْسِهِ فَلَابُدَّ مِنْ وُقُوْعِهِ، بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ القَادِرِيْنَ بِالقُدْرَةِ فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ حُصُوْلُ مُرَادِهِم إِذَا أَرَادُوْهُ، أَلَا تَرَى مَا قَبْلَ هَذِهِ الكَلِمَةِ: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ﴾[6]، إذ خَافَ يَعْقُوْبُ عليه السلام عَلَيْهِمْ مِنَ الإِصَابَةِ بِالعَيْنِ إِذَا دَخَلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ فَأَمَرَهُم أَنْ يَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ﴾ أَيْ إِذَا أَرَادَ اللهُ بِكُمْ سُوْءًا لَمْ يَدْفَعْ عَنْكُمْ ذَلِكَ السُّوْءَ مَا أَشْرَتُ بِهِ عَلَيْكُمْ،مِنَ التَّفَرُّقِ،ثُمَّ قَالَ:﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لله﴾ أَيْ: لَيْسَ حَيٌّ مِنَ الأَحْيَاءِ يَنْفُذُ حُكْمُهُ لَا

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٦٧.
(٢) سورة الحج ، الآية : ٢٧، وسورة العنكبوت ، الآية : ٥٣ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٧٠ .
(٤) مجمع البيان ، ٤ / ٥٣.
(٥) شرح نهج البلاغة ، ١٩ / ١٧
(٦) سورة يوسف، الآية : ٦٧

مُحَالَةَ ، وَمُرَادُهُ لِمَا هُوَ مِن أَفْعَالِهِ إِلَّا الحَيُّ القَدِيْمُ وَحْدَهُ ، هَذَا هُوَ مَعْنَى هَذِهِ الكَلِمَةِ ، وَظَلَّتِ الخَوَارِجُ عِنْدَهَا فَأَنْكَرُوا عَلَى أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عليه السلام مُوَافَقَتَهُ عَلَى التَّحْكِيْمِ وَقَالُوا : كَيْفَ يُحَكِّمُ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّه﴾ فَغَالَطُوا لِوَضْعِ اللفْظِ المُشْتَرَكِ، وَلَيْسَ هَذَا الحُكْمُ هُوَ ذَلِكَ الحُكْمُ فَإِذًا هِيَ كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ ؛ لِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَى المَفْهُوْمِ الأَوَّلِ ، وَيُرِيْدُ بِهَا الخَوَارِجُ نَفْيَ كُلِّ مَا يُسَمَّى حُكْمًا إِذَا صَدَرَ عَنْ غَيْرِ اللهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ بَاطِلٌ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَمْضَى حُكْمَ المَخْلُوقِيْنَ فِي كَثِيْرٍ مِنَ الشَّرَائِعِ[1].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾[2].

هَذِهِ حِكَايَةُ نِدَاءِ يُوْسُفَ عليه السلام لِلمُسْتَفْتِيَيْنِ لَهُ عَنْ تَأْوِيْلِ رُؤْيَاهُمَا أَيْ: يَا مُلَازِمَيِّ السِّجْنِ!

﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾

أَيْ : أَأَصْنَامٌ مُتَبَايِنُوْنَ مِنْ حَجَرٍ وَخَشَبٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ خَيْرٌ لِمَنْ عَبَدَهَا؟ ﴿أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ الذِي إِلَيْهِ خَيْرُ عِبَادِهِ وَشَرُّهُم ، وَالنَّفْعُ وَالضَّرَرُ، وَهَذَا ظَاهِرُ الاسْتِفْهَامِ ، وَالمُرَادُ بِهِ التَّقْرِيْرُ وَإِظْهَارُ الحُجَّةِ ؛ لِأَنَّ يُوْسُفَ عليه السلام أَعْلَنَ نُبُوَّتَهُ فِي السِّجْنِ وَفَتَحَ فِيْهِ مَدْرَسَةً يُوْسُوفِيَّةً، فَهُوَ يَسْتَغِلُّ كُلَّ فُرْصَةٍ لِلتَّرْكِيْزِ عَلَى تَوْحِيْدِ اللهِ وَنَبْذِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ .

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّه بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾

ابْتَدَأَ بِخِطَابِ اثْنَيْنِ ثُمَّ خَاطَبَ الجَمِيْعَ ؛ لِأَنَّهُ قَصَدَ كُلَّ مَنْ هُوَ فِي مِثْلِ حَالِهِمَا يَعْنِي إِنَّ هَذِهِ الأَصْنَامَ التِي تَعْبُدُوْنَهَا وَسَمَّيْتُمُوْهَا بِأَسْمَاءَ فَارِغَةٍ مِنَ المَعَانِي مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ حُجَّةٍ ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ﴾ وَمَا الحُكْمُ وَلَا الأَمْرُ وَلَا النَّهْيُ إِلَّا لَهُ وَلَا تَجُوْزُ العِبَادَةُ وَالخُضُوْعُ وَالتَّذَلُّلُ

(١) شرح نهج البلاغة، ١٩ / ١٧

(٢) سورة يوسف، من الآية ٣٩ الى ٤٠.

إِلَّا لَهُ ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ ، وَقَدْ أَمَرَكُمْ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ حَصْرًا وَنَهَاكُم عِبَدَةِ غَيْرِهِ[1] ، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

المصادرو المراجع

* القرآن الكريم.

المخطوط :

١- أوَّل حماة الإسلام، أبو طالب ولاميته، لكاتب هذه السُّطور، في مكتبته آلة كاتبة الكتابُ مُعَد للنشر.

٢- عيون الأدب العربي، لكاتب هذه السُّطور وفي مكتبته، آلة كاتبة .

٣- تاريخ الحوزة العلمية ، لكاتب هذه السطور تحت الطبع.

المطبوع :

١. البخلاء، لأبي عمرو عثمان بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق طه الحاجري، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣م.

٢. أثر المحتسب في الدراسات النحوية، ط١، لكاتب هذه السطور، المكتبة الأدبية المختصَّة، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، مطبعة الوفاء، قم ، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٣م.

٣. أخبار مكة، لأبي الوليد مُحمد بن عبد الله الأزرقي، كان حيًّا عام ٢٤٨، تحقيق رشيد الصالح ملحس، دار الأندلس، مكة المكرمة، ب.ت.

٤. أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة، لعزّ الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن مُحَمَّد الجزري، (٥٥٥-٦٣٠هـ / ١١٦٠- ١٢٣٢م.) ط١ ، دار ابن حزم، بيروت ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م. وطبعة سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م. ولم يكر فيها مكان الطبع .

(١) مجمع البيان، ٥/ ٣١٢

(٢) سورة الأنعام ، الآية :٤٥، وسورة الصافات ، الآية : ١٨٢.

٥. الإصابة في تمييز الصَّحابة، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) مطبعة السَّعادة، القاهرة، ١٣٢٨هـ والطَّبعة التي بتحقيق عادل أحمد عبد الواحد وعلي مُحَمَّد معوَّض، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. وتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التُّركي، ط١، مركز هجر للبحوث والدِّراسات العربيَّة والإسلاميَّة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٦. الأصوات اللغوية، للدكتور إبراهيم أَنيس، مطبعة الإنكلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.

٧. أُصول التلاوة، لكاتب هذه السطور، ط١، مطبعة الآداب، النجف الأشرف ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٨. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي (ت١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.) ط٥، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٠م.

٩. الأمُّ، للإمام مُحَمَّد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ) تحقيق الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب،ط١،دارالوفاء،أمام كلية الطب المنصورة،مصر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٠. البابليات، للشيخ مُحَمَّد علي اليعقوبي (١٣١٣-١٣٨٥هـ/ ١٨٩٤-١٩٦٥م.) مطبعة الزهراء والمطبعة العلمية، النجف الاشرف، ١٣٧٠- ١٣٧٤هـ/ ١٩٥١-١٩٥٥م.

١١. البداية والنهاية، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عُمَرُ بن كثير (٧٠١-٧٧٤هـ) تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٢. تاريخ بغداد، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٩م.

١٣. التَّاريخ الصغير (الأوسط) مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ) الكتاب منشور على الأنترنت، في موقع طريق الإسلام من غير ذكر مكان النشر ولا تاريخه.

١٤. التَّاريخ الصَّغير (الأوسط) لُمحمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ) دراسة مُحَمَّد إبراهيم اللحيدان، وتحقيقه، ط١، دار الصُّميدعي، الرِّياض السُّعودية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٥. التَّاريخ الكبير لُمحمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ) تحقيق هاشم النَّدوي وجماعته، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن الهند، ب. ت.

١٦. التِّبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر الشيخ مُحَمَّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التُّراث العربي بيروت، ب. ت.

١٧. الحروف، لأحمد بن مُحَمَّد الرازي (ت٦٣١هـ) من بين ثلاثة كتب في الحروف ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، ط١ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٨. الحيوان، لأَبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

١٩. الخليل بن أحمد الفراهيدي أَعماله ومنهجه، للدكتور مهدي المخزومي، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت ، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م.

٢٠. الخليل رائد علم الصوت، بحث لكاتب هذه السطور، منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٦٨ الجزء٢، مطبعة الصباح، دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢١. دلائل النُّبوّة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي (٣٨٤-٤٥٨هـ) تحقيق الدكتورعبد المعطي قلعجي،نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/

١٩٨٦م.

٢٢. ديوان أبي الشمقمق مروان بن مُحَمَّد البصري البخاري الأصل، من موالي مروان بن مُحَمَّد الحمار آخر حكام بني أمية، تحقيق الدكتور واضح مُحَمَّد الصمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢٣. ديوان طرفة بن العبد ، شرح الأعلم الشنتمري (٤١٠-٤٧٦هـ) تحقيق دريَّة الخطيب ولطفي الصقَال ، ط٢، المؤسَّسة العربية للنشر، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٤. رجال النَّجاشي، لأبي العباس أحمد بن علي النجاشي (ت٤٥٠هـ) تحقيق السيد موسى الشبيري الزنجاني، ط٦، مؤسَّسة النشر الإسلامي التَّابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٨هـ.

٢٥. سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عُثْمَانُ بْنُ جِنِّي (ت٣٩٢هـ) تحقيق مصطفى السقا وجماعته، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.

٢٦. السيرة النبوية، لأبي مُحَمَّد عبد الملك بن هشام (ت٢١٨هـ) تحقيق مجدي فتحي السيد ،ط١، دار الصحابة في طنطا، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٧. السيرة النبوية لابن إسحاق، مُحَمَّد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني (ت١٥١هـ) تحقيق أحمد فريد المزيدي، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٨. السيرة النبوية لإسماعيل بن كثير (٧٠١-٧٧٤هـ) تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٢٩. السيرة النبوية للذهبي ، شمس الدين أبي عبد الله مُحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الدمشقي (ت٧٤٨هـ) الكتاب في الأصل في صدر كتاب الذهبي سير أعلام النبلاء ثم استل منه ونشر مستقلا، من غير ذكر مكان النشر وتاريخه.

٣٠. شرح نهج البلاغة، لعبد الحميد بن أبي الحديد (٥٨٦-٦٥٥هـ) تحقيق مُحَمَّد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٣١. صحيح البخاري، لمُحمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ) الطبعة التي اعتمدتها وزارة الشؤون الإِسلامية والأَوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية علَى موقعها في الأَنترنت، ط١، دار الفكر،دمشق بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٢. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجَّاج القُشَيْرِيِّ النِّيسابوريِّ (ت٢٦١هـ) تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي (ت١٣٨٨هـ) ط٢، دار الفكر ، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣٣. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ) بشرح النُّوَوِيِّ (ت٦٧٦هـ) ط١، المطبعة المصريَّة بالأزهر القاهرة، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م.الطبعة التي اعتمدتها وزارة الشؤون الإِسلامية والأَوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية علَى موقعها في الأَنترنت.

٣٤. ضياء الصالحين، للحاج مُحَمَّد صالح بن الشيخ محمد سعيد الصائغ الجوهرجي (ت١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م.) ط١، مؤسَّسة الأعلمي ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٥. الطَّبقات الكبرى، لمُحمَّد بن منيع بن سعد (ت٢٣٠هـ) تحقيق الدُّكتور مُحَمَّد علي عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٣٦. العِقد الفريد، لأحمد بن مُحَمَّد بن عبد ربِّه الأندلسي (ت٣٢٨هـ) تحقيق الدكتور مُحَمَّد مفيد قميحة والدكتور عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٣٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) الطَّبعة التي اعتمدتها وزارة الشُّؤون الإِسلامية والأَوقاف والدَّعوة والإرشاد، السُّعوديَّة علَى موقعها في الأَنترنت، ونشرة دار الريان ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م. وتحقيق عبدالقادر شيبة الحمد، طبعة الرياض ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٣٨. فضل أهل البيت وحقوقهم، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) ط١، دار القبلة، جدة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

٣٩. الفهرست، للشيخ مُحَمَّد بن الحسن أبي جعفر الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) تحقيق السيد مُحَمَّد صادق بحر العلوم، المكتبة المرتضوية ومطبعتها، النَّجف، ب. ت.

٤٠. قبس من أسرار القرآن الكريم، لكاتب هذه السطور، مجلة المصباح، التي تصدر عن العتبة الحسينيَّة المقدَّسة في كربلاء، العدد ١٣، لسنة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م: ٦٩-١١٤.

٤١. كتاب سيبويه، لأبي بشر عَمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠هـ) تحقيق عبد السلام هارون، دار العلم، والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٨٥-١٣٩٥هـ/ ١٩٦٦-١٩٧٥م.

٤٢. كتاب اللامات، لأبي القاسم عبد الرحمن بن أسحاق الزجاجي (ت٣٣٧هـ) تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار الفكر،ط٢، دمشق، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤٣. اللامات دراسة نحوية شاملة في ضوء القرآت القرآنية، للدكتور عبد الهادي الفضلي، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م.

٤٤. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، لأبي إسحاق مُحَمَّد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت٤٢٧هـ) تحقيق مُحَمَّد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٤٥. كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ) تحقيق بكري حيّاني وصفوة السقا، ط٥، نشر مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤٦. لسان العرب، لمُحمَّد بن مكرَّم بن علي بن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ) تحقيق أمير مُحمَّد عبد الوهاب ومُحمَّد صادق العبيدي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤٧. مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ط١، دار العلوم، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٤٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) تحقيق شعيب الإرناؤوط وجماعته ، ط١، مؤسِّسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦ / ١٩٩٥م.

٤٩. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء (ت٢٠٧هـ) تحقيق أحمد يوسف نجاتي وجماعته، مطبعة دار الكتب المصريَّة، ١٣٧٤هـ./ ١٩٥٥م.

٥٠. معجم رجال الحديث، للسيد أبي القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.) منشورات مدينة العلم، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٤م.

٥١. معجم الشعراء، لأبي عبيد الله مُحمَّد بن عمران بن موسى المرزباني (ت٣٨٤هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فرَّاج (ت١٩٨١م.) منشورات مكتبة النوري، دمشق، ب. ت.

٥٢. المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى وجماعته، مجمع اللغة العربية القاهرة، دار الدعوة ، استنبول ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٥٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لأبي مُحمَّد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ) تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، ب. ت.

٥٤. مفاتيح الجنان، للشَّيْخ عَبّاس بن مُحَمَّدِ رِضَا القُمّيِّ (١٢٩٤هـ-١٣٥٩هـ) ، ط٣، دار الأضواء بيروت، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٥٥. مفردات الراغب الإصفهاني (ت٥٠٢هـ) مع ملاحظات الشيخ علي الكوراني العاملي، دار المعروف ، بيروت ، ٢٠١٠م.

٥٦. النُّبُوَّة، للشَّيخ الصَّدوق أبي جعفر مُحَمَّدِ بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) مؤسَّسة الضُّحى الإيرانية، مؤسَّسة الثقافة والإرشاد والنشر، طهران، ١٣٨١هـ

٥٧. النُّبُوَّة والأنبياء في ضوء القرآن، لأبي الحسن الحسني النَّدَوي، ط٣، بيروت، ١٣٨٧هـ